أصول التربية والتعليم

كما رسمها القرآن الكريم

(بحث محكّم)

تأليف

د. أحمد بن أحمد بن شرشال الجزائري

مدرس القرآن وعلومه

كلية الشريعة جامعة الكويت

دار الحرمين

بالقاهرة

من منشورات دار الحرمين بالقاهرة

الطبعـة الأولى
1423 هـ - 2003 م

رقم الإيداع 2185\2003
I.S.B.N 977-310-158-4

الناشر
دار الحرمين للطباعة

الفرع الجديد 5 درب الأتراك - خلف الجامع الأزهـر
محمول 0105473568

المطابـع ش 112-منشية السد العالي - جسر السويس
محمول 0101009352 / ف 2979735

كلمة الناشر

بسم اللَّه، والحمد للَّه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المُشَرَّف بالشفاعة، المخصوص ببقاء شريعته إلى قيام الساعة، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار وأتباعه الأخيار صلاة باقية ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد:- فإن من دواعي الشرف والسرور أن تكون **دار الحرمين** أداة نشرٍ للنافعِ من العلوم وتراث الأمة المصون، وإننا في هذا المقام إذ نشكر اللَّه تعالى ونشكر القراء الكرام أن أولونا ثقتهم باقتنائهم مطبوعات **الدار**؛ فإن هذا لمما يزيدنا تمسُّكًا بالخط الذي انتهجناه من تيسير اقتناء المطبوعات النافعة بأسعار مخفضةٍ علاوة على حسن الإخراج ودقة المراجعة وجودة الطباعة، وفوق هذا كله - وهو الأهم - عرض مطبوعات **الدار** قبل طبعها على المختصين والمؤهلين ممن يحسن النظر ليكون القارئ في مأمنٍ من خطإٍ لسنا نحن صانعوه، فكانت منشوراتنا - وللَّه وحده الحمد والمنة - بديعة الإتقان صحيحة الأركان سليمةً من لفظة «لو كان»، فالحمد للَّه الذي جعلنا عن تراث هذه الأمة ذابين وعلى كتب أهل العلم محافظين، واللَّه ولي التوفيق.

دار الحرمين

الحمد لله ... بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

إذن بالطبع

أنا الموقع أدناه د/ أحمد بن أحمد معمر شرشال الأستاذ بجامعة الكويت ، فقد أذنت للأخ محمد عوض المنقوش ودار الحرمين للطباعة ... بطبع ونشر كتابي المسمى "الأصول العربية والتعليم ... القرآن الكريم".

وأذنت لدار الحرمين ... بطبع ... المسمى كتاب أصول ... للإمام ... أبي داود سليمان بن نجاح [illegible] وتكون حقوق الطبع محفوظة لدار الحرمين للكتابين المذكورين ، والتزم ... والله تعالى ولي التوفيق

المقر بما فيه ... المؤلف والمحقق

د/ أحمد ... - جامعة الكويت

د. [signature]

في ٨/٣/١٤٢٣هـ

١/١٠/٢٠٠٢م

أصول التربية والتعليم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجا﴾

والحمد لله ؛ الذي جعل رغبتي في القرآن وعلومه، أحمده - سبحانه - ، وأشكره ، وأستعينه ، وأستغفره، وأصلي وأسلم على من نزل عليه الكتاب، فكان خلقه القرآن ﷺ وعلى آله وأصحابه، والتابعين، ومن تبعهم واقتفى آثارهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد:

فأولاً مقدمة البحث[1]

لقد اعتنى علماء التربية والتعليم في الكُليّات .والمعاهد ومدارس تكوين المعلمين بقواعد التربية وعلم النفس اعتناءً كبيراً، فكتبوا في ذلك كتبا كثيرة وأبحاثاً جمة.

◎ وإن مما يدعو للدهشة والاستغراب أن تجد أنهم نقلوا فيها عن **علماء التربية الغربية** كل طارف وتالد، واقتبسوا أصولهم وفروعهم وتجاربهم **وقد بهرهم بريقها** ؛ فراحوا يترسمون ويقتفون آثارها، ويعملون جاهدين على تطبيقها في المدارس ، بعد أن لقنت لهم في كليات التربية ، جاعلين نصب

(١) **هذا البحث:**

«أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم»

حُكِّمَ وَنُشِرَ في «مجلة التربية» التي تصدرها «اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم» في عددها (١٣٧، ١٣٨) سبتمبر 2001 م

واعتمدته : «لجنة تقويم تطبيق مادة القرآن الكريم» في تقريرها الختامي برئاسة د: جاسم الحمدان (ص٢٦) بوزارة التربية لدولة الكويت،

ونشر بعد تحكيمه في «مجلة القبس» في العدد الثاني 1999 م جامعة الأزهر، ونشرت فكرته الأولى في حلقتين في «مجلة البيان» في العدد (١٢٩، ١٣٠) ، **فشجعني** كل هذا على المضي في البحث، **فزدت** عليه في هذا البحث **أكثر من الثلثين**، وأضفت إليه أصولاً ومباحث أخرى، **فزاد حجمه كمًّا ونوعًا**، وهو مبرر كاف لإعادة نشره

والحمد لله، ولا إله غيره، ولا مرجو إلا خيره .

أعينهم أن هذه الطرق والأساليب والنظريات هي المقياس الناجح في تقويم العمل التربوي

ثم إننا لم نلمس آثاراً حميدة تذكر لهذه المؤسسات التربوية التي اعتمدت على هذه النظريات، وإنما تدفع أفواجاً بعد أفواج لا قوام لهم، ولا يعرفون مسؤولياتهم في هذه الحياة. وليس لديهم التصور الصحيح لمعنى وجودهم

○ **وإذا كنا نقدر** ؛ مدى أهمية الاستفادة من عمل الآخرين بعد تصفيته وغربلته مما يتعارض مع أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم، ومع مبادئنا وقيمنا الحضارية، **فإن الذي نعيبه على كثير من علماء التربية وأساتذتها ومدرسيها هو تغافلهم، وعدم التفاتهم** إلى ما يزخر به القرآن الكريم والسنة النبوية من دقائق علوم التربية والتعليم أصولاً وفروعاً، لو فزع المسلمون إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم **لوجدوا** المعالم الكبرى واضحة جلية لأصول وفروع هذا العلم.

القرآن الكريم حوى من ضروب المعرفة والقواعد الأخلاقية والأصول التربوية والتشريعية مما يجعلنا نستغني به عن النظريات البشرية القاصرة ، وَلَتَعلَّمَ غير المسلمين من المسلمين.

لو **تناول** علماء التربية بالدراسة والبحث **آيات الذكر الحكيم** ، وتعمقوا في أساليبه، وسبروا أغوار ما فيه من أسرار بلاغية، وحكم بيانية ، واستكنهوا حقيقة التنزيل، وما يهدف إليه من قواعد تربوية وأصول تشريعية تحقق أهدافاً سامية بأقصر طريق وأمتن أسلوب لاستنبطوا أصولاً وفروعاً للتربية والتعليم[1].

---

(١) **انظر**: «الطرق التربوية وعلم النفس» د. أحمد الحبابي (ص ٦) .

ثانيا أسباب اختياري لهذا الموضوع

قد اطلعت على قائمة طويلة وعريضة من الأبحاث الجمة التي تتعلق بالتربية والتعليم أصولاً وفروعاً، **فلم أجد فيها ما يشفي الغليل ويملأ العين،** بل بعض هذه الأبحاث لم يكن عند أصحابها التصور الصحيح لعلوم التربية، وإن سودوا الأوراق ونالوا الدرجات ، وتصدروا الجلسات.

وإني لاتعجب من هؤلاء وأولئك كيف يسعون لطلب علوم التربية من **وراء البحار،** والقرآن الكريم مصدرها ، والحاوي لفروعها وأصولها

ومن ثم ؛ اتجهت إلى **المصدر الأصلي** لفنون التربية والتعليم والكتاب الأم لأصول التربية والتعليم، فقد رسم معالمها الكبرى، **وبينتها السنة،** وكل من اتجه إلى هذا المصدر يجد ضالته ويدرك بغيته.

○ وقد أسعفني في هذا التوجه قول الإمام الشاطبى

«لا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن في مسألة إلا وجد لها فيه أصلا»[1]

وشد من أزري قول الشيخ الشنقيطي

«قد اشتمل كتاب الله على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها»[2].

○ وليس هذا بجديد ؛ فإن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال

«أنزل في القرآن كل علم، وبين لنا فيه كل شيء ، ولكن علمنا يقصر عما بُيِّنَ لنا في القرآن»[3].

والحمد لله ؛ قد **وجدت أصولاً** للتربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم.

---

(١) «الموافقات للشاطبي» (٣/٣٧١)

(٢) «أضواء البيان» (٣/٢٥٧)

(٣) «جامع البيان للطبري» (١٤/١٠٨)

وبهذا ؛ يعد القرآن الكريم، وما تضمنه من علوم ومعارف **الكتاب الأم** بعد الفطام للتربية والعلوم ، يتضمن أعظم المقررات الدراسية، فينبغي أن نعود إلى منابعه الأصلية للتربية والعلوم، وإزاحة المناهج الأخرى

لو أصلحنا المناهج التعليمية لصلح الطلاب ، وسعد الناس

فإذا أردنا أن نصنع جيلاً فلنهيئ له المناهج التربوية والمقررات الدراسية التي تصوغه صياغة محكمة، وتصبغه صباغة: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾[1].

إن صلاح الإنسان لا يستقيم إلا إذا صلح تعليمه ؛ لأن التعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يريده المعلم ، ولا ينفع هذا التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه، في مفرداته ومقرراته، كما كان يتعلم النبي ﷺ من جبريل ﴿علمه شديد القوى﴾[2].

○ **وإن مناهج الدراسة ومقرراتها** في الجامعات والمعاهد وغيرها **قد نأت** عن مقررات القرآن وعلومه ، وتضمنت مواد جافة مجردة من الروح والحوافز التي تدفع الطالب للعمل بما عمل ولا تعطي الثمار المرجوة منها، فهي أشبه بالصنعة التي يتعلمها أي إنسان آخر.

إن هذه العلوم التي أودعها الله في كتابه **لا تنفصل عن الأم**، ولا تقبل الاستقلال عن الأصل، فيجب أن تؤخذ غضة طرية من أمها، وإن فصلت فقدت غذاءها ورونقها وجمالها وسرها وأسرارها، وقد تموت، ولا أدل على ذلك من **إعجاز القرآن** لا تستشعره إلا من أصله، فيوجد طالما كان مترابطاً بأصله، وينعدم إذ بتر من أصله.

---

(١) من [الآية: ١٣٨ :البقرة].

(٢) [الآية: ٥ :والنجم].

ثم إن هذه المناهج الدراسية الحالية : لم تكن واضحة المعالم عند الدارس، ولا هي حتى عند الأستاذ الذي تصدر للتدريس ؛ فلا تحدث في نفس الطالب انفعالاً وسلوكاً لهذا المقرر أو ذاك، ولا تولد في نفسه حرارة الإيمان، ولا تزوده بزاد التقوى والخشية، ولا تحدث في نفسه ذكراً، بخلاف ما إذا ربطنا صناعة التعليم ومناهجه بفعل النبي ﷺ كما كان الحال عليه في المدارس ذات الطراز القديم.

◉ إذا أردنا أن نصحح اتجاه الأمة إلى الصراط المستقيم فلنبدأ بتصحيح المناهج التعليمية والتربوية ، كما رسمها القرآن الكريم، فقد تضمن أصولاً وفروعاً وقواعد غابت من أذهان علماء التربية والتعليم في عصرنا هذا

ثالثًا بيان خطة البحث ومنهجه

ولسوف بإذن اللّه - أسعى لجعل هذه الدراسة تناول المباحث الآتية كما جاءت مرتبة في الآيات القرآنية

المبحث الأول مقدمة في بيان أهمية الموضوع وجدته

المبحث الثاني بيان أسباب أختياري لهذه الدراسة

المبحث الثالث بيان الخطة والمنهج الذي أسلكه

المبحث الرابع بيان استمرارية هذا المنهج ،وأنه قديم وموصول لا انقطاع في سنده

المبحث الخامس بيان الأصل الأول وهو علم الخط والكتابة

المبحث السادس بيان الأصل الثاني وهو علم التلاوة والترتيل

المبحث السابع بيان الأصل الثالث وهو تفسير القرآن وبيانه

المبحث الثامن بيان الأصل الرابع وهو تعليم الحكمة

المبحث التاسع بيان أثر هذه الأصول في بناء الشخصية واتزانها .

المبحث العاشر بيان بفوائد وثمرات هذه الأصول
المبحث الحادي عشر أهمية مادة القرآن الكريم
المبحث الثاني عشر فائدة اختيار جزء ﴿عمّ﴾
المبحث الثالث عشر الأهداف التربوية لمقرر جزء ﴿عمّ﴾

أ - الجانب التربوي في الأداء

ب - الجانب التربوي في الوجدان والتأثير

ج - الجانب التربوي في العلم والمعرفة

د - الجانب التربوي في السلوك والعمل

المبحث الرابع عشر : خلاصة البحث وثمراته وملخصه باللغة الإنجليزية .
المبحث الخامس عشر فهرس المصادر والموضوعات.

رابعا بيان استمرارية هذه الأصول التربوية بالإسناد المتصل.

إن صفة منهج النبي ﷺ في التربية والتعليم قد رسم القرآن الكريم معالمها الكبرى ، واستقل ببيانها وفصلتها السنة النبوية

قال تعالى في بيان صفة هذا المعلم وأصوله - في سورة البقرة

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم ءاياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾(١).

وقال في سورة آل عمران ﴿ لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾(٢).

○ **فقد صرحت هذه الآيات بالمنهج العام** لأصول التربية والتعليم الذى

(١) [الآية: ١٥١ :البقرة]
(٢) [الآية: ١٦٤ :آل عمران] ، ومثل هذه الآية في سورة [الجمعة: الآية: ٢]

لامنهج سواه ، والذى لا ينبغي أن يتغير أو يتبدل ، وهو منهج أصيل يسعد الإنسان في دنياه وأخراه ، لأن منزله هو الخالق لهذا الإنسان العليم بطبيعة تكوينه الخبير بدروب نفسه ومنحنياتها

○ **وقد جاءت هذه الأصول مطابقة لدعوة إبراهيم عليه السلام ، وقد حكى القرآن نص الدّعاء فقال**

﴿ ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم ءاياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنّك أنت العزيز الحكيم ﴾[1].

ولقد حقق الله دعوة إبراهيم وإسماعيل عليها السلام - ووافقت قدر الله السابق

◎ ولذلك قال ﷺ : « أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخى عيسى بي »[2].

وقد بين القرآن أن هذا المنهج وما تضمنه من أصول تربوية ومقررات دراسية لم يكن مقصوراً على الموجودين مع النبي صلى الله عليه وسلم في عصر التنزيل ، بل هو صالح وملزم لكل من يأتي بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم من العرب والعجم ، ولم يكن يومئذ قد ولد

فقال جلّ وعلا: ﴿ هو الذى بعث في الأمين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وءاخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾[3].

والمراد بالآخرين منهم لما يلحقوا بهم - وهو محل الشاهد

هم كل من يأتي بعد الصحابة - رضي الله عنهم - إلى يوم القيامة فيتلو

---

(١) [الآية: ١٢٩ :البقرة]

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١/١٢٤) وابن كثيراً (١/١٩٧)

(٣) [الآية: ٢،٣ :سورة الجمعة]

عليهم ، ويتلو على الآخرين ، ويعلمهم ويعلم الآخرين الكتاب والحكمة ، ويزكّيهم ويزكيّ الآخرين[1].

كل من تعلم القرآن وعلومه إلى آخر الزمن فرسول الله صلى الله عليه وسلم معلمُّه ؛ لأنه أصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم[2].

○ **يقول القرطبي معللاً لهذا الإسناد**

« لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمن كان كله مسنداً إلى أوله ، فكأنه هو الذى تولى كل ما وجد منه »[3].

أقول. أسند في الآية تعليم الآخرين إليه ﷺ

وهؤلاء الآخرون لم يدركوه ، لأنهم يتلقّون التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة والتزكية عن طريق الرواية والمشافهة والتلقى عمن تلقى عنه ﷺ بالإسناد المتصل المسلسل ، ومن ثم صح إسناد تعليم الآخرين إليه ﷺ ، فلما تناَسق التعليم إلى آخر الزمن وتلا بعضه بعضاً فكأنه عليه الصلاة والسلام وجد منه وتلاه عليهم وعلّمهم الكتاب والحكمة[4].

منهج التربية والتعليم كما رسمه القرآن موصول ومتواصل لا انقطاع فيه يرثه الخلف عن السلف بالإسناد المتصل ، ولذلك جاء عقب نص دعوة إبراهيم – عليه السلام – أن من لم يقبل هذا المنهج وانحرف عنه يعد سفيها ، **فقال** ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾[5].

أي امتهن نفسه واستخف بها وظلمها وما أكثر السفهاء اليوم لتنكبهم

---

(١) على أحد القولين في المعطوف عليه ولا مخالفة بينهما في المعنى

(٢) انظر «اللباب في علوم الكتاب» (٧١/١٩)

(٣) «الجامع للقرطبي» (٨٣/٩)

(٤) انظر «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٦٣/٨)

(٥) من [الآية: ١٣٠ البقرة]

عن هذا المنهج الرّباني ، ولن يكون أحد داخلاً في دعوة إبراهيم وإسماعيل ، حتى يقبل هذا التعليم الجامع بكل مفرداته ومقرراته ويمتثل له لأن القرآن سمّى الرّغبة عنه **سفها**

◉ وقد تضمن هذا المنهج أصول التعليم

تلاوة القرآن وتعليم الكتاب وتعليم الحكمة ، **ثم يعقبهن** حصول التزكية لا تعليم التزكية ، فهو منهج متكامل لكل ما يصلح الفرد والمجتمع من جميع الجوانب ، ولا يحتاج إلى ما يكمله ، وقد جاء ترتيبه في أسمى درجات البلاغة والحكمة ؛ **لأن أول** تبليغه يكون بتلاوة القرآن ، **ثم بيان** معانيه ثم تعليم الحكمة ، وبكل ذلك **تحصل التزكية**

◉ **إن الإنسان مهما كان مقامه عالياً ومنصبه سامياً لا يستغني عن التعليم .**

فهذا نبيّ الله داود – عليه السلام – مع حصوله على الملك والنبوة لم يستغن عن تعليم الله إياه

قال تعالي ﴿ وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾[1].

وهذا موسى – عليه السلام – يلتمس من العبد الصالح أن يرافقه ؛ ليتعلم الرشد

قال تعالى ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مماً علمت رشداً﴾[2].

○ وكان ﷺ لا يعرف هذا الكتاب المنزل ، ولم يكن يتلو أي كتاب قبله ، ولم يكن يعرف الكتابة ، كما أخبره الله بذلك ﴿ ماكنت تدرى ما

(١) من [الآية: ٢٥١ البقرة]

(٢) [الآية: ٦٦ :الكهف]

الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾[1].

وقال ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾[2].

○ وكان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدًا ﷺ لا يقرأ ولا يكتب

قال تعالي ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴾[3].

○ **وقد أنزل الله عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم**

قال تعالى:﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾[4].

○ **وذكر المفسرون** ؛ أنه صلى الله عليه وسلم ما أمر بطلب الزيادة من شيء سوى العلم ، فإن الله أمره أن يطلب المزيد منه

قال تعالى ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾.[5]

○ وقد استجاب لأمر ربه فكان يقول « اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى وزدني علماً » ، وكان يستعيذ من العلم الذى لا ينفع

◎ **نشرع** بعون الله وتوفيقه في بيان هذه الأصول ، **ونتجه** في هذه الدراسة إلى استقراء الآيات المتعلقة بأصول التربية والتعليم ، **وآمل** من وراء ذلك تحديد هذه الأصول ، وبيان أثرها على الطالب والأستاذ والمجتمع وإذا

---

(١) [الآية: ٥٢ :الشورى]

(٢) [الآية: ٤٨ :العنكبوت]

(٣) [الآية: ١٥٧ :الأعراف]

(٤) [الآية: ١١٣ :النساء]

(٥) [الآية: ١١٤ :طه]

تدبرنا الآيات القرآنية نجد أنها قد احتوت على **خمسة أصول رئيسة** ، وكل علوم الإسلام مهما تنوعت وتفرعت تردُّ إليها وتندرج تحتها ، جاءت في غاية الحسن والترتيب ، وشاملة لجميع جوانب الحياة ، وهي متواترة كتواتر الأُصل الذى أخذت منه

وبهذه الطريقة والأصول التربوية : أنقذ الله هذه الأمة من الضلال المبين: ﴿ وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾

أي : قبل تلاوة القراءة، وقبل تعليم الكتاب ، وقبل تعليم الحكمة، كانوا في ضلال واضح ظاهر في كل شيء.

◎ **وقد ذكر الله في هذه الآيات التي استخرجنا منها أصولاً تربوية وجوها من نعمه تعالى على عباده**

الأول تعليم الخط والكتابة ﴿ علم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم ﴾.

الثاني تلاوة القرآن وترتيله ﴿ يتلوا عليهم ءاياته ﴾.

الثالث تعليم الكتاب ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾.

الرابع تعليم الحكمة ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾.

الخامس العمل بالعلم ﴿ ويزكيهم ﴾.

السادس إنقاذهم من الضلال المبين

خامسًا : الأصل الأول : علم الخط والكتابة :

إن القرآن الكريم ، وهو المصدر لأصول التربية والتعليم ؛ نفي أن يكون صلى الله عليه وسلم على دراية بعلم الخط ، ونفى عنه تلاوة أيّ كتاب قبل نزول القرآن ، وكان هذا قطعاً للارتياب ودفعاً للشبهة ، لو كان يكتب ويقرأ لقال المبطلون: إن هذا القرآن تعلمه وكتبه ، فنفي عنه كل ذلك

فقال ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب

المبطلون ﴾[1].

وقال ﴿ ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ﴾[2].

ولذلك ؛ وصفه الله في كتب الأولين ونعته بالأميّ ، وهو وصف كمال في حقه

قال تعالى ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوارة والإنجيل ﴾[3].

◎ **وصوّب أبو الوليد الباجي الأندلسي** ؛ أن النبي ﷺ **كتب بيده،** واستظهر على العلماء بما لديه من المعرفة ، **وقال للأمير:** «هذا لا ينافي القرآن بل يؤخذ من مفهوم القرآن لأنه قيد النفي بما قبل ورود القرآن».

وأما بعد أن تحققت أميته، وتقررت بذلك معجزته ، وأمن الارتياب في ذلك ؛ فلا مانع من أن يعرف الكتابة من غير معلم ، **فتكون معجزة أخرى له،** ولا يخرج بذلك عن كونه أمّيًا[4].

ويبدو لي – والله أعلم –: أن أبا داود سليمان بن نجاح ت 496 هـ. ناصر شيخه الباجي فيما ذهب إليه، **وذلك** ؛ بتأليفه كتابا سماه ابن عياد: «كُتَّاب الكتاب من الأنبياء والسادات والأشراف والصحابة ومن كتب منهم للنبي ﷺ»[5].

○ **ورجح الدكتور محمد أبو شهبه** – رحمه الله – أن النبي ﷺ قد كتب، وبنى عليه أن الرسم العثماني توقيفي ، **وقال:** «وكفى في هذا دليلاً

---

(١) [الآية: ٤٨ :العنكبوت]

(٢) [الآية: ٥٢ :الشورى]

(٣) من [الآية: ١٥٧ :الأعراف].

(٤) انظر: «فتح الباري» (٤٤/٩) «المدارك» لعياض (١٢٢/٨) «مختصر التبيين» (٤٧/١) .

(٥) «مختصر التبيين» لأبي داود (٥٠/١)

حديث البخاري: «ولا يحسن يكتب فكتب» ، واستبعد أن يكون الرسول ﷺ في مثل ذكائه وفطنته وطول مدة إملائه للقرآن أن لا يتعلم الكتابة»[1].

• **وإذا ابتعدنا** عن الجدل والمناقشات في هذا الموضوع ، **ورجعنا إلى** مصدرنا الذي التزمنا أن نستخرج منه أصول التربية والتعليم **نجد** أن القرآن الكريم قد نوه بشأن القلم والخط ، وأقسم بالقلم وسمى سورة باسمه ، وهي سورة القلم، وأول ما خلق الله القلم ، **وما ذاك** إلا لأهمية الخط والكتابة.

فأول مراتب أصول التربية والتعليم علم الخط والكتابة ؛ لتقييد الأصول اللاحقة لها ، وهي التلاوة ، تعليم الكتاب ، وتعليم الحكمة ، **فهي في المقام الأول** ، **ولذلك** ؛ ذكر الله تعالى التعليم بالقلم في أول الآيات التي نزلت وأمر بالقراءة فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾[2].

وهذه الآيات من أول ما نزل ذكرت تعليمًا عامًّا وتعليمًا خاصًا بالقلم ، من باب ذكر العام بعد الخاص ؛ لأهمية الخاص، ولقد نوه الله بشأن القلم ، وأقسم به ، وسميت سورة كاملة باسمه، وهي سورة القلم

قال تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾[3].

○ **ومن أغراض «سورة العلق»** التنويه بشأن القراءة والكتابة والعلم والتعلم، وأول ما خلق اللّه القلم والدواة ،

قال ابن عباس: «إن الله خلق النّون وهي الدواة وخلق القلم»[4].

قال ابن كثير في قوله: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ فهو قسم منه -

---

(١) «المدخل» لأبي شهبة (٣٥٢) ، وانظر: «التفاصيل في مختصر التبيين» لأبي داود ص٤٦-٥٣

(٢) [الآيات: ١-٥ :العلق]

(٣) [الآيتان: ١، ٢ :القلم]

(٤) «الجامع» للقرطبي (١٧/١٩٥)

تعالى- وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم، **ولهذا قال:** ﴿وما يسطرون﴾

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة **يعني** وما يكتبون[١].

◉ وقد علم الله نبيه عيسى عليه السلام الخط والكتابة

فقال: ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾[٢].

قال **الألوسي** ﴿الكتاب﴾ مصدر بمعنى الكتابة ، **أي** يعلمه الخط باليد ، قاله ابن عباس»[٣]، **ورجحه** : فخر الدين الرازي ، **فقال:** «المراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة»[٤].

○ التعليم بالقلم والخط والكتابة كالتعليم الذهني واللفظي ، بل هو أعظم وأوسع مدلولاً وأكثر انتشارًا، **لأن** حدود التعليم اللفظي قاصرة على ما يسمع فقط، والتعليم الخط الرسمي أكثر عمقًا ، وبه تخلد العلوم، ويصل الخلف بالسلف، وتضبط الأحكام والعلوم والمعارف[٥].

○ **قال الإمام ابن عادل الحنبلي في قوله تعالى** ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ «أنه ينتفع بالقلم كما ينتفع بالنطق» كما قال تعالى: ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ ، **فالقلم** يبين كما يبين **اللسان** في المخاطبة بالكتابة للغائب والحاضر»[٦].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٤٢٨)

(٢) [الآية: ٤٨ :آل عمران]

(٣) «روح المعاني» (٣/٢٦٥) «البحر المحيط» (٢/٤٨٤)

(٤) «تفسير الفخر الرازي» (٤/٦٠) «التفسير الوسيط» (٢/١١١)

(٥) انظر: «بدائع التفسير» (٥/٢٨٣)

(٦) «اللباب في علوم الكتاب» (١٩/٢٦٥)

ولذلك ؛ كان للنبي ﷺ كتابا يكتبون بين يديه الوحي، وقد وصلنا مع المشافهة والتلقي غضًا طرياً ، وقد أخبر تعالى عن فضله ورحمته أن علم الإنسان البيان ، فقال: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾[1].

قال ابن كثير: «وقول الحسن - النطق - ها هنا أحسن وأقوى ؛ **لأن** السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها»[2].

قال ابن قيم في تفسيره للبيان

«والبيان هنا يتناول مراتب ثلاثة كل منها يسمى بياناً»

أحدها البيان الذهني ؛ الذي يميز فيه بين المعلومات

الثاني البيان اللفظي ؛ الذي يعبر به عن تلك المعلومات ويترجم عنها فيه لغيره

الثالث البيان الرسمي الخطي ؛ الذي يرسم به تلك الألفاظ فيتبين للناظر معانيها ، كما يتبين للسامع معاني الألفاظ ، **فهذا بيان للعين، وذاك بيان للسمع ، والأول بيان للقلب**، وكثيراً ما يجمع سبحانه بين هذه الثلاثة ، نحو قوله تعالى ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾»[3].

وقال الحافظ ابن كثير

«والعلم تارة يكون في الأذهان ، وتارة يكون في اللسان ، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ، ولفظي ، ورسمي» [4].

---

(١) [الآيات: ١-٤ :الرحمن]

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢٨٩/٤)

(٣) [الآية: ٧٨ :النحل] ، «بدائع التفسير» (٣٢٢/٤)، (٢٨٤/٥)

(٤) «تفسير ابن كثير» (٥٦٤/٤)

◎ تجري المعنى في الذهن، ثم تجري العبارات الدالة عليها على اللسان عما في مكنونات الصدور ويعرب عما في الضمائر، سبحان ﴿الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾

وقد علمتني التجارب العملية المؤكدة التي لا تتخلف ولا تخطئ أن ما تخطه أصابعي ينتقش في صدري فيستقر ويثبت، ولا يحتاج إلى مراجعة وتذكير كثير، بينما لا نجد ذلك كذلك في الأوراق التي نصورها كالمذكرات ونحوها، **لذلك** ؛ يجب على الطلاب أن يستعينوا على تثبيت المعلومات والمحفوظ بالقلم بخط اليد لا بالتصوير.

وكان مما أدركنا ؛ أن العلماء كانوا يمنعون طلابهم من الحفظ من المصحف، وقد كانت هذه قاعدة مستقرة عندهم، فيأمرون الطلاب أن يكتبوا «الثمن» أو «الربع» من **القرآن** بخط اليد، وبالإملاء من الشيخ، ثم يكررونه للحفظ، فكنا نكتب في اللوح ونكرره، فيرتسم في الذهن فإن ما كتبته يدك يعينك على الفهم والحفظ بخلاف ما كتبه غيرك.

○ وقد ورد النهي الشديد عن أخذ القرآن من المصحف

روى أبو العلاء الهمداني أخبارًا كثيرة عن السلف في النهي عن أخذ القرآن من المصاحف فقال

«لا تقرأوا القرآن على المصحفيين ولا تأخذوا العلم عن الصحف».

قال أبو زرعة الرازي

«**يعني** من لم يقرأ القرآن ويتعلم من ألفاظهم ويجالس أهل العلم نقلاً وسماعًا وفهمًا لا يؤخذ منه القرآن ولا العلم»[1].

---

(١) «التمهيد» لأبي العلاء الحنبلي (٢٤٦)

○ الكتابة بخط يدك، تعينك على الحفظ، وقد أرشد الرسول ﷺ رجلاً سيء الحفظ فقال له: «استعن بيمينك»

ومعنى **«استعن بيمينك» اي** اكتب بخط يدك، وما بلغ مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس ما بلغ في علم التفسير إلا بالكتابة في الألواح.

روى ابن جرير عن أبي مليكه، قال: رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، فيقول ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله

وبهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به [1].

○ وتمسك بهذه السنة شيوخ القرآن في بلاد المغرب العربي ، ولا يزال طلابهم يستعملون **الألواح الخشبية** لكتابة مجموعة من الآيات المقررة للحفظ، وقد كنا نكتبها بأيدينا فيسهل علينا حفظها بسرعة

• وقد كتبت الختمة الأولى من إملاء الشيخ رحمه الله، وكانوا يمنعوننا منعًا باتاً أن نكتب اللوح من النظر في المصحف، وتسمى هذه الختمة: **«الشاقة»** ، ثم كتبت بعدها ثلاث ختمات من حفظي

هذه قاعدة مقررة في بلاد الجزائر والمغرب وتونس وموريتانيا وليبيا وغيرها.

سادسا بيان الأصل الثاني وهو علم التلاوة والترتيل

بدأت جميع الآيات القرآنية بهذا الأصل ، وهو التلاوة والترتيل ، وقد جاء ترتيب هذه الأصول في الذكر على حسب ترتيب وجودها ؛ لأن أول تبليغ الرسالة تلاوة القرآن، ثم يكون تعليم معانيه، قال تعالى: ﴿فإذا قرأناه فاتبع

(١) «الفتاوي لابن تيمية» (١٣/١٩٨) «التفسير والمفسرون» (١/١١٤) .

قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾[1] ثم العلم تحصل به التزكية، وهي في العمل بإرشاد القرآن[2] كما سيأتي.

أول صفات هذا المعلم أنه يتلو عليهم آياتك: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته﴾

ومعناها القراءة المتتابعة المرتلة التي يكون بعضها تلو بعض،

والتلاوة المرتلة : لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء على وجه من وجوه القراءات.

ويدل لهذا حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهلِ الكتابين، وسيجيء بعدي أقوام يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم »[3].

○. **والمراد بلحون العرب**: قراءة الإنسان بحسب جبلته وطبيعته وسليقته على طريقة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم[4].

وأصل التلاوة من الاتباع، ومنه قولهم: تلاه: إذا تبعه، وهي ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام تأليف القرآن وترتيبه ، ومنه قوله تعالى: ﴿والقمر إذا تلاها﴾[5].

---

(١) [الآيتان: ١٨، ١٩ :القيامة]

(٢) انظر: «التحرير والتنوير» (٢٧٣/١)

(٣) رواه محمد بن نصر المروزي

وخرج الحديث الدكتور عبدالعزيز القاري وعلق عليه بقوله: «لكن المتن صحيح وله شواهد كثيرة». «سنن القراء» (ص ٩٤)

(٤) انظر: «التحديد في الإتقان» لأبي عمرو الداني (٨٢) «المنح الفكرية»، الملا علي (٣٨) .

(٥) [الآية: ٢ :والشمس]

قال الراغب الأصفهاني:

«والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب»[1].

وقد أمر الله عز وجل هذا المعلم ﷺ أن يتلوا القرآن فقال: ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾[2].

وقال: ﴿واتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾[3].

◉ وقد فهم ﷺ وهو سيد الفهماء من هذا الخطاب **الأمر المؤكد، ولم يشتغل ﷺ بدلالة الأمر هل هي للوجوب أو للندب، كما هو الشأن عند بعض العلماء، فقد حملوا أوامر الله المؤكدة والمكررة على الندب**[4]

ولذلك ؛ قال كما حكاه القرآن عنه: ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها، وله كل شيء، وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلوا القرآن﴾[5].

فأمر الله عز وجل بالتلاوة فامتثل لأمر الله، وجاء الأمر بها مقروناً بالأمر بالعبادة والتسليم، في أسلوب الحصر، **فيجب علينا أن نقتدي بفعله في الامتثال، ولا نشتغل في دلالة الأمر سيما وقد جاء في نسق الأمر بالعبادة.**

وقد أمر الله عز وجل أن يتلوه على الناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم، وهم أمة الدعوة ، فقال: ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك﴾[6].

(١) «مفردات الراغب» (٨٦)

(٢) من [الآية: ٢٧ :الكهف]

(٣) من [الآية: ٤٥ :العنكبوت]

(٤) مثل الاستعاذة جاء لأمر بها مكررا.

(٥) [الآية: ٩١ :النمل]

(٦) من [الآية: ٣٠ :الرعد]

وقال: ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به﴾[1].

والتلاوة وحدها كافية لإقامة الحجة، فهي الحجة، وهو المحجة فلا يعذر أحد بعد التلاوة بالجهل، فالقرآن يقيم بالتلاوة الحجة القاطعة على الخلق

قال تعالى في بيان ذلك: ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا﴾[2]، **ومثلها في قوله تعالى:** ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾[3].

وهذا يكون بعد البيان ؛ لأن الله أسند إليه مهمة البيان ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [4] ، وسيأتي في الأصل الذي يلي هذا.

فكان ﷺ يتلو على أصحابه القرآن ويعلمهم إياه كما جاء ذلك في قولهم: «كان يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السور من القرآن»[5].

وجيء بالفعل المضارع في قوله: ﴿يتلوا﴾ للإشارة إلى أن هذا الكتاب تكرر وتجدد تلاوته، وقد جاء هذا الوصف صريحاً في قوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾[6].

من صفات هذا الكتاب أنه يثنى ويكرر، فقوله: ﴿مثانى﴾ بمعنى التكرار والإعادة، وقد كرر الله الأمر بالقراءة والتلاوة في أكثر من موضع، فتثنى وتكرر تلاوته، وقراءته وأحكامه وحكمه وأخباره[7].

وقد بقيت سنة تكرار القرآن في جميع بلاد المسلمين لحفظه ولا سبيل إلى

(١) من [الآية: ١٦ :يونس] (٢) من [الآية: ٥٩ :القصص]

(٣) من [الآية: ٥١ :العنكبوت]

(٤) من [الآية: ٤٤ :النحل]

(٥) «صحيح البخاري» (١٦٢/٧)

(٦) من [الآية: ٢٣ :الزمر]

(٧) انظر: «روح المعاني» (٣٨٢/١٣) «التحرير والتنوير» (٣٨٦/٢٢) .

ذلك إلا بالتكرار والإعادة

فكان ﷺ يتلو عليهم آيات القرآن ليحفظوا ألفاظها كما نزلت ويتعبد الله بتلاوتها، ويعملوا بما جاء فيها، فتعلموا الإيمان والعلم والعمل.

قال أبو حيان

« وأتى بهذه الصفات فعلاً مضارعاً ليدل بذلك على التجدد لأن التلاوة والتزكية والتعليم تتجدد دائماً »(١).

○ وبعد أن أمره الله بالتلاوة والقراءة أرشده إلى صفة التلاوة وكيفيتها، فعناية الله لنبيه ﷺ لم تنقطع بالأمر بالتلاوة، بل قد رسم القرآن لنبيه كيفية التلاوة، فقال: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما﴾(٢).

وقال في بيان كيفية التلاوة: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه، فإذ قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾(٣).

مجموع هذه الآيات تعطي تصوراً واضحاً وتحدد معالم التلقي الواضح لكيفية التلاوة، فنهته عن العجلة، وبينت له ﷺ أن يستمع لقراءة جبريل، فإذا انتهى أمرته بالاتباع له في قراءته، ووعده الله عز وجل بأن يقرئه قراءة لا ينساها إن شاء الله.

المعلم الأول للنبي ﷺ هو جبريل -عليه السلام- كما صرح بصفته القرآن فقال: ﴿إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾(٤).

فقد كان ﷺ يبادر إلى أخذ الوحي ويسابق الملك في قراءته قبل أن ينتهي

---

(١) «البحر المحيط» (٦١٨/١)

(٢) من [الآية: ١١٤ :طه]

(٣) [الآية: ١٦-١٩ :القيامة]

(٤) [الآية: ٤، ٥ :والنجم]

جبريل المعلم، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع وينصت حتى ينتهي جبريل من القراءة فإذا انتهى أمره أن يتابع القراءة بالكيفية التي قرأ بها جبريل المعلم

ولذلك ؛ أقرأ أصحابه ﷺ بهذه الكيفية وأمرهم أن يقرأوا بها فقال: «اقرأوا كما علمتم»[1].

قال الحافظ ابن كثير

«كان إذا جاءه جبريل بالوحي كلما قرأ جبريل آية قرأها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن ، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه لئلا يشق عليه»[2].

وهكذا ؛ يجب على طالب العلم أن يهتدي ويقتدي بهذا الأدب، وينصت ويستمع **ويتأنى** في تلقي العلم، وألا يحمله الحرص على مبادرة المعلم بالأخذ منه قبل فراغه من كلامه، **ويجب عليه** أن يحاكيه في التلاوة بعد الاستماع له .

○ وقد وعد الله نبيه ﷺ وطمأنه وأخبره ، بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ، **فقال:** ﴿سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله﴾ ، **ولذلك** ؛ لم يكله إلى نفسه وحفظه، بل أرسل إليه المعلم جبريل يعارضه القرآن ويدارسه في كل ليلة في رمضان، وليس معنى ذلك أن يتخلى عنه طيلة أشهر السنة إلا في رمضان، بل كان ينزل عليه جبريل في كل الأحوال كما قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾[3] ، **ولذلك** ؛ نزل عليه القرآن في السفر

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٢٣/٩) «مختصر ابن كثير» (١٨٣/١)

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٧٥/٣)

(٣) [الآية: ٣٣ :الفرقان]

والحضر والليل والنهار، وصيفاً وشتاءً

نقل السيوطي عن أبي حاتم قوله

«فكان المشركون إذا أحدثوا شيئًا أحدث الله لهم جواباً»[1].

وإنما المدارسة والعرض والسماع كان في رمضان من كل عام، وفي العام الذي قبض فيه عارضه جبريل بالقرآن مرتين كما صح ذلك مرويًا عن ابن عباس وفاطمة في البخاري ومسلم[2].

هذه هي طريقة النبي ﷺ في تلقي القرآن ، **وتسمى** طريقة العرض والسماع، فسمع من جبريل وعرضه عليه، وبين القرآن هذا الأدب التلقي ، فقال: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾[3].

ومادة: «تلقى» من اللقيا، فيها لقاء بين اثنين هما المتلقي بكسر القاف ، والمتلقى منه بفتح القاف، والمتلقي هنا هو الرسول ﷺ، والمتلقى منه هو الله تعالى[4].

ولكن الواسطة جبريل المعلم ؛ لأن الله قال: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾[5].

وقال تعالى في بيان هذا المعلم المتلقى منه ﴿إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى﴾[6].

وهكذا علمه الله كيف يتلقى الوحي: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾[7].

---

(١) «الإتقان في علوم القرآن» (٨٩/١) «تفسير ابن كثير» (٣٣٠/٣)

(٢) انظر «فتح الباري» (٣٠/١)

(٣) [الآية: ٦ :النمل]

(٤) «سنن القراء ومناهج المجودين» (٤٥)

(٥) من [الآية: ٥١ :الشورى]

(٦) [الآية: ٤-٦ :والنجم] .

(٧) من [الآية: ١١٣ :النساء]

• فعلينا أن نقتدي به وبفعله في أدب التلقي والتلاوة بل إن الله وجه عباده إلى هذا الأدب وأمرهم أمرًا صريحًا بالاستماع والإنصات، بمثل ما أمر به النبي ﷺ فقال ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾(١).

ثم بين لعباده شروط الانتفاع بالقرآن فقال: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾(٢).

فيحصل الانتفاع بالقرآن لمن كان له قلب حي يعقل الكلام ويتدبره، ويحصل الانتفاع لمن وجه سمعه وأصغى إلى تلاوة معلّمه، وهو حاضر القلب.

قال ابن قتيبة:

«استمع كتاب الله، وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساه»(٣).

وقال الراغب الأصفهاني:

«وكل موضوع أثبت الله فيه السمع للمؤمنين أو نفاه عن الكافرين أو حث على تحريه ؛ **فالقصد به** إلى تصور المعنى والتفكر فيه»(٤).

وقال سفيان بن عيينه:

«أول العلم الاستماع ، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر»(٥).

◎ **ولقد يسر الله تلاوته على أهل كل لسان،** وهو أحد معجزاته يقرأه ويتلوه كالعربي، فأيسر كتاب يحفظ هو كتاب الله كما قال تعالى: ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾(٦)، فلا تلتبس به الألسنة، وهيأه للتذكر

---

(١) [الآية: ٢٠٤ :الأعراف]
(٢) [الآية: ٣٧ :سورة ق]
(٣) «بدائع التفسير» (١٩١/٤)
(٤) «المفردات» (٢٧١)
(٥) «الجامع لأحكام القرآن للقرطبي» (٩٦/٦)
(٦) [الآية: ٣٢ :القمر] .

والتدبر والاتعاظ، وييسر مأموراته ومنهياته للامتثال(١).

○ وإذا تتبعنا هذه الأصول التربوية في القرآن الكريم نجد أن الله عز وجل لم يأمره بالتلاوة فحسب وإنما أمره بأمر آخر وهو الترتيل، فقال: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾(٢) بعد أن نهاه عن العجلة وأمره بالتلاوة ، أمره أمرًا مؤكدًا بترتيل القرآن، وأسند الترتيل إلى نفسه عز وجل فقال: ﴿ورتلناه ترتيلا﴾(٣) كما أسند التلاوة إلى نفسه فقال: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾(٤).

الله عز وجل أضاف الترتيل إلى نفسه كما أضاف التلاوة إلى نفسه، لذلك كان من الواجب المؤكد أن يسمى هذا العلم:

علم التلاوة أو علم الترتيل وحسب

أمر الله عز وجل بترتيل القرآن كما أنزله الله مرتلاً وأمره الله أن يقرأه على الناس مرتلاً، ولهذا المقصد فرّقه الله في النزول، فالترتيل أمر ملحوظ في النزول كالتلاوة نفسها كما نصّ على ذلك القرآن ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾(٥).

وحكمة التفريق : لكي يقرأه على الناس على مكث، وذلك أسهل للحفظ وأقرب للفهم وأنفع للامتثال، ويكون الوقوف على دقائقه أيسر.

فيجب على الطلاب أن يأخذوه على هذا النحو، وبهذه الصفة ليكون عوناً لهم على الحفظ والفهم والعمل.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (١٤٨/٤) «الخازن» (٢١٩/٤) «فتح القدير» (١٧٥/٥)

(٢) [الآية: ٤ :المزمل]

(٣) من [الآية: ٣٢ :الفرقان]

(٤) [الآية: ٥٨ :آل عمران]

(٥) [الآية: ١٠٦ :الإسراء]

معنى «الترتيل»

واختلفت عبارات المفسرين في معنى الترتيل، ومجموع عباراتهم أدل على المقصود:

○ **ذكر ابن الجزري عن علي قال:**

« **الترتيل:** تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، وقال مجاهد: ترسل فيه ترسلاً، وروى عن الضحاك: انبذه حرفًا حرفًا[1].

روى أبو العلاء الهمداني يسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: يا ابن عباس، إذا قرأت القرآن فرتّله ترتيلاً، فقلت يا رسول الله، وما الترتيل؟ قال: بيّنه تبيينا لا تنثره نثر الدقل ولا تَهُذَّهُ هذَّ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكونن همُّ أحدكم آخر السورة».

ولا خلاف بين السّلف في وجوب الترتيل المأمور به ومجموع عباراتهم أدل على المقصود، **لأن كل واحد فسره ببعض المعنى**، وأما تفسير علّي -رضي الله عنه- للترتيل، فاحتاط الأمر، وعبر بتجويد الحروف، وهي أعلى المراتب للترتيل بدليل أن الاتفاق حاصل بينهم في وجوب إخراج الحرف من مخرجه وإعطائه حقه ومستحقه[2].

◎ **وإذا كان ثمة خلاف، فثمرته أن من قال** إن التجويد واجب يكون قوله فيه نظر ويحتاج إلى تفصيل **وإن أراد** بالتجويد المرادف للترتيل، يكون كلامه صحيحًا، وإن أراد بالتجويد التحسين والتحبير والزيادة على ما هو أصل يكون كلامه ليس صحيحًا.

أما الترتيل ؛ فلن يستطيع أحد أن ينفي عنه الوجوب ؛ لأن الله أمر به ولم

(١) انظر: «النشر» (١/٢٠٨) «والتمهيد» (٦٠) لابن الجزري

(٢) «التمهيد» لأبي العلاء الحنبلي (١٤٠) «الدار المنثور» للسيوطي (٨/٣١٤) .

يقتصر -سبحانه- على الأمر بالفعل حتى أكده بالمصدر فقال: ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ ، وقال: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾.

ومن ثم ؛ يجب علينا أن نحافظ على ألفاظ القرآن ليكون الحكم صحيحًا، فقد **سماه** الله ترتيلاً، **وسماه** تلاوة ، **وسماه** قراءة، وأضاف كل هذه الألفاظ إلى نفسه، ولم يسمه تجويدًا.

أما تسميته بالقراءة ؛ فقد جاء في نحو قوله: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان في الرجيم﴾[١] ، ونحو قوله: ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾[٢] وأضاف القراءة إلى نفسه وأمر باتباعها فقال: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾[٣].

فإذا التزمنا بألفاظ القرآن، ومصطلحاته وعرفه وعاداته ذهب عنا كل إشكال، وانزاح عنا كل خلاف.

○ قال ابن الجزري:

وقال علماؤنا: تلبث في قراءته، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده ولا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض»[٤].

○ نعت قراءة النبي ﷺ

وقد امتثل النبي ﷺ لأمر الترتيل، وأمر التلاوة وأمر القراءة ، فقد كانت قراءته وتلاوته ترتيلاً كما أمر،

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: كان ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون في قراءته أطول من أطول منها[٥].

---

(١) [الآية: ٩٨ :النحل]. (٢) من [الآية: ٢٠ :المزمل]

(٣) [الآية: ١٨ :القيامة]

(٤) «النشر» (٢٠٨/١) «التمهيد» (٦٠) لابن الجزرى.

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤٥١/٤)

وسئلت عائشة رضي الله عنها أيضاً كيف كان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن ؟

فقرأت سورة الفاتحة كما قرأ، أعنى عملياً، وحكاية لقراءته ثم قالت: يبينه اسمًا اسمًا وحرفًا حرفًا حتى يفرغ»[١].

ونعتت قراءته ﷺ أم سلمة، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا»[٢]

وبينت في بعض رواياتها تلاوة النبي ﷺ وقالت: كان يقطع قراءته آية آية: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم* مالك يوم الدين﴾[٣].

○ ولبيان قراءته ﷺ وشدة وضوحها قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لو شاء حافظ أن يحفظها لفعل»[٤].

○ ومن أوصاف ونعوت قراءته ما رواه البخاري في صحيحه، باب مدّ القراءة يصف فيها قراءة النبي ﷺ ، فعن قتادة قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن قراءة النبي ﷺ فقال: «كان يمد صوته مدّا».

ثم بين ذلك قتادة عملياً فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن﴾ يمد ﴿بسم الله﴾ ويمد: ﴿الرحمن﴾ ويمد: ﴿الرحيم﴾ [٥].

○ وقد حصر أوصاف ونعوت قراءة النبي ﷺ الإمام الحجة الثبت أبو عمرو الداني في **أرجوزة**-لا أعلم لها نظيراً في لفظها ومعناها- **فقال رحمه الله: القول في نعت قراءة النبي ﷺ**

---

(١) «التمهيد لأبي العلاء» ص١٧٧

(٢) رواه الترمذي في «أبواب التفسير» انظر: «فن الترتيل» (٢١٢/١)

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٠٢/٦) «أضواء البيان» (٣٦٩/٨)

(٤) «التمهيد» لأبي العلاء الحنبلي (١٧٢)

(٥) أخرجه البخاري في «فضائل القرآن» رقم (٥٠٤٦)

ووصف الصدر قراءة المصطفى
ونعتوها بنعوتٍ شتَّى
منها قراءة المدّ والتقطيعِ
ومقرا الترديدِ والترجيعِ
وذكروا بأنه قد كانا
يُخفِي ويُعْلِي صوتَه أحيانا
أمّا قراءة المد فهي تُروَى
عَن أنس وعن علي تُحْكَى
ومقرا التقطيع قد روتها
هِندٌ عن النبي إذ حَكَتْهَا
ومقرا الترجيعِ قد حكاها
ابنُ المغفلِ كَمَا رواها
وكلٌّ هَذَا في المصنفاتِ
مسطرٌ فيها عن الثقاتِ[1]

◉ وقد أخذ عنه صفة التلاوة وكيفيتها أصحابه ﷺ

فهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الذي هو أشبه الناس سمتا برسول الله كان يقرئ رجلاً، فقرأ الرجل: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾[2] مرسلة، فقال ابن مسعود: «ما هكذا أقرأنيها النبي ﷺ ، فقال الرّجل: وكيف أقرأها يا أبا عبدالرحمن؟ قال: أقرأنيها: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ فمَدَّدَها»[3].

(١) «الأرجوزة المنبهة» لأبي عمرو (٩٣) يجب على طالب العلم أن يقتنيَها
(٢) من [الآية: ٦٠ :سورة التوبة]
(٣) «الإتقان» للسيوطي (٩/١) «التمهيد» لأبي العلاء الحنبلي (١٦١) .

فهذا عبدالله بن مسعود أنكر على الرجل أن يقرأ كلمة: ﴿للفقراء﴾ من غير مد، وبين للرجل أن النبي ﷺ ، ما قرأ بهذه الصفة التي قرأ بها الرجل، ثم بين له صفة قراءة النبي ﷺ للكلمة ومدّها، **ولم يُقرّه على ترك المدّ، مع أنّ الزيادة والنقص فيه سواء في عدم التأثير على دلالة الكلمة ومعناها،** فدلّ على أن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول كما قال زيد بن ثابت.

ولذلك ؛ كان ﷺ يحيل الناس على قراءة عبدالله بن مسعود ، قال ﷺ: «من سرّه أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقرأه كما يقرأه ابن مسعود».

وفي بعض الروايات: «من سره أن يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[(١)].

○ وقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يقرأوا القرآن على الصفة التي علّمهم إياها:

أخرج ابن جرير الطبري عن علي رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما عُلِّمتم»[(٢)]

فهذه النصوص المتوافرة في نعت قراءة النبي ﷺ دلت على أن قراءة القرآن بالكيفية التي قرأ بها توقيفية، فلا يجوز العدول عنها ولا الإخلال بها.

⊙ وإذا انتقلنا إلى باب الوقف والابتداء في قراءة النبي ﷺ نجد نصوصًا صريحة تبين عناية النبي ﷺ بالوقف، واختياره لمواضع يحسن الوقف عليها، والابتداء بما بعدها، وقد تعلم ذلك من جبريل المعلم.

ذكر الداني وابن الجزري بسنديها عن أبي بكرة أن جبريل أتى النبي ﷺ

---

(١) انظر: «التمهيد وحواشيه في تخريجات الحديث» ص١٨٢

(٢) انظر: «فتح الباري» (٢٣/٩)

فقال: اقرأ القرآن على حرف، وقال ميكائيل: استزده حتى بلغ سبعة أحرف، كلها كاف شاف، ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب[1].

قال أبو عمرو :

«هذا تعليم الوقف التام من رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام، إذ ظاهر ذلك أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة أو الثواب، وتفصل مما بعدها إذا كان بعدها ذكر العقاب، وكذلك ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر النار أو العقاب وتفصل مما بعدها، إذا كان بعدها ذكر الجنة أو الثواب»[2].

○ وقد وصفت أم سلمة – رضي الله عنها– عناية النبي ﷺ بالوصل والوقف علميًا وعمليًا ، فروي عنها أنها سئلت عن قراءة النبي ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا، وقالت كان يقطع قراءته يقول: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، ثم يقف،﴿الرحمن الرحيم﴾، ثم يقف، وكان يقرأ: ﴿ملك يوم الدين﴾.

وفي لفظ لأبي داود: «كان يقطع قراءته آية آية»[3].

وقد أخذ هذه الصفة، وهذه الكيفية في الوقف والابتداء الصحابة –رضي الله عنهم– قال النحاس: «فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون التمام كما يتعلمون القرآن، ويدل على أن ذلك إجماع من الصحابة»[4].

○ ويذكر ميمون بن مهران عن الصحابة رضي الله عنهم– أنهم كانوا

---

(١) «المكتفى» للداني (١٤٧)، «التمهيد» لابن الجزري (١٧٩)

(٢) المصدر نفسه وانظر: «سنن القراء» (١٣٠)

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/٤٥٩)

(٤) «النشر في القراءات العشر» (١/٣١٦) «القطع والائتناف» (١/١٢) .

يراعون في الوصل والوقف تمام المعنى فقال: إني لأقشعر من قراءة أقوام يرى أحدهم حتماً عليه ألا يقصر عن العشر إنما كان القرأة تقرأ القصص إن طالت أو قصرت.

وقال عبدالله بن أبي الهذيل:

«إذا قرأ أحدهم الآية فلا يقطعها حتى يتمها»[1].

حديثه وكلامه ﷺ

ولم يكن حديثه وكلامه ﷺ يختلف كثيراً عن تلاوته ﷺ ، فقد كان يتأنى في حديثه وكلامه، ويكرّره ويعيده، ليكون أسهل في حفظه وأعون على الفهم، وكان ذلك عادة غالبة في كلامه ﷺ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه [2].

وكان يفصل بين كل كلمة وأخرى ولا يتعجل ؛ حتى يسهل حفظ كلامه، ولو شاء السامع أن يعد كلماته لفعل.

يدل لهذا :ما رواه عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: «ألا يعجبك أبو هريرة؟، جاء فجلس إلى جنب حجرتي يحدث عن النبي ﷺ يسمعني ذلك وكنت أسبح، فقام قبل أن أقضي سبحتي - النافلة- ولو أدركته لرددت عليه: إن رسول الله « لم يكن يسرد الحديث كسردكم»[3].

وفي رواية «ألا تعجب إلى هذا وحديثه؟! كان رسول الله ﷺ ليحدث، ولو شاء العادّ أن يحصيه أحصاه»[4].

---

(١) «المكتفي في الوقف والابتداء» (١٣٥)، «النشر» (٢٤٠/١)

(٢) أخرجه البخاري في «كتاب العلم» (١٨٨/١)

(٣) أخرجه البخاري في كتاب «المناقب» باب صفة النبي رقم ٣٥٦٨ (٥٦٧/٦) .

(٤) أخرجه البخاري في الموضع السابق رقم (٣٥٦٧)

وفي رواية فيها زيادة بيان وتفسير: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس إليه»[1].

قال ابن حجر رحمه الله

«قوله: «ولو أدركته لرددت عليه» **أي** : لأنكرت عليه، وبينت له أن الترتيل في التحديث أولى من السرد، قوله: «لم يكن يسرد الحديث كسردكم» **أي يتابع** الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض، لئلا يلتبس على المستمع، إنما كان حديث رسول الله ﷺ فصلاً تفهمه القلوب»[2].

وبالمقارنة ؛ نجد تشابهًا كبيرًا بين ما جاء في صفة كلامه وحديثه، وصفة تلاوته ﷺ

يدل على ذلك ؛ ما رواه أبو العلاء الهمداني الحنبلي بسنده عن مخرمة ابن سليمان عن كريب، قال: سألتُ ابن عباس عن قراءة رسول الله ﷺ بالليل، فقال: كان يقرأ في حجرته قراءة لو شاء حافظ أن يحفظها لفعل»[3]

فهذه الرواية عن ابن عباس لا تختلف في وصفها لتلاوته عن رواية عائشة في وصفها لحديثه ﷺ

التجويد أصل كلام العرب.

اشتهر عند الناس جميعاً أن موضوع علم التجويد هو القرآن الكريم فقط، وزاد بعضهم الحديث الشريف ثم يصححون قول الجمهور، وهو أن موضوع التجويد القرآن الكريم فقط لا غير.

(١) أخرجه الترمذي وحسنه في كتاب «المناقب» (٥/٦٠٠) «والشمائل» ص١١٢ رقم (٢٢٣) وغيره.

(٢) انظر: فتح الباري (٦/٥٧٨) اكتفيت بتخريج الدكتور عبدالرحمن البر في كتابه: «مناهج الصحابة في التعلم والتعليم» ص٦٢

(٣) «التمهيد في معرفة التجويد» لأبي العلاء الهمداني (١٧٢)

وكل من أَلَّف في علم التجويد ويردد هذا الادعاء حتى اشتهر عند جميع الناس واستقر في آذانهم أن مباحث علم التجويد لا تكون إلا في القرآن فقط وصار هذا من المسلَّمات(1).

◎ **وهذا تناقض عجيب وتنافر معيب وخطأ كبير، ووجه تناقضه** : أنه إذا كان علمُ التجويد موضوعه القرآن الكريم، فإن القرآن الكريم هو لب كلام العرب.

قال الراغب الأصفهاني:

«فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم..»، **ثم قال** «وما عداها.. كالقشور»(2).

إذا كان - كما قالوا - التجويد موضوعه القرآن الكريم، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، فإن النتيجة أن التجويد موضوعه لسان العرب.

قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون﴾(3).

وقال: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين﴾(4).

وقال: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾(5)

اثبتت هذه الآيات وغيرها : أن القرآن نزل بلغات العرب، وحينئذ تكون

---

(1) انظر: «هداية القاري» (46/1) «نهاية القول المفيد» (25) «الإضاءة» (4) «العميد» (7)، «الفوائد التجويدية» (18)، وغيرها

(2) «معجم مفردات القرآن» للراغب ص8

(3) [الآية: 2 :يوسف]

(4) [الآية: 103 :النحل].

(5) [الآية: 195 :الشعراء]

مباحث علم التجويد وموضوعه لغات العرب.

○ حضر بعض علماء العربية مجلسًا كان فيه والد الشيخ سيدي إبراهيم المارغني المفتي بالديار المصرية، قيل له: أيها الشيخ، أكانت العرب تقول: «إن زيدًا قائم» بغنة النون؟

فأجاب الشيخ: ما أجهلك بلغة قومك، لولا أن الغنة مأثورة عند العرب ما ذكرها أرباب اللغة والنحو والتصريف، وما وردت القراءة بها، إذ كل ما قرئ به موجود في اللغة، ولا عكس كما هو مقرر في محله، لا سيما والقراء كلهم أخذوا بها أداء وجمعًا فهي من المتواتر قطعًا، فكيف يستريب أحد من العلماء في وجود الغنة لغة وقياسًا، والحال أنها لغة القرآن والحديث ولغة أهل الحجاز ودهاقين العرب؟ فقد ورد أنهم كانوا يترنمون في كلامهم بالغنة ومما لا يغرب أن القرآن أنزل بلغة الحجازيين وقريش غالبًا، فروعي جانب الغالب، فكانت الغنة في جميع حروفه التي تغن[1].

قد حوصر موضوع **علم التجويد** وانزوت مسائله في دائرة التلاوة ، هذا لم يقل به العلماء المحققون ، ومخالف لما عليه الأقدمون ، فإن مجال قواعد التجويد أرحب وأوسع مما يتصوره هؤلاء ، فهو شامل للقرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم العربية متنها ونحوها وصرفها ، **فهو روح العربية** ، فهو السياج الواقى لحماية وصيانة الحروف العربية وألقابها وصفاتها

وإذا نظرنا إلى التعريف المتفق عليه

« إخراجُ كلّ حرف من مخرجه وإعطاؤه حقه ومستحقه »[2]

نجد أن هذا الحق شامل لجميع الحروف سواء كانت في القرآن الكريم أم

(١) انظر: «النجوم الطوالع على الدرر اللوامع» (٢٣٠)

(٢) انظر «هداية القارى» (٤٥/١)

في الحديث أم في العربية ، فالمخارج لا تتغير ، والصفات اللازمة لا تتبدل لهذه الحروف ، وهي واحدة وهي أصل الكلام كله

◎ وإن اللحن الذى يقع فيه القارئ للقرآن الكريم يفسد المعنى ويغيره ، فاللحن نفسه يفسد المعنى ويغيره إذا وقع في قراءة الحديث أو الكلام

◎ وإذا كانت **قواعد النحو** تتعلق بما يعرض للحرف الأخير من حركة وسكون، **وقواعد الصرف** تتعلق ببنية الكلمة وما تصرف منها ، **وقواعد البلاغة** بنظم الكلام ، **فإن قواعد التجويد** وبخاصة مخارج الحروف وصفاتها وعلاقة بعضها ببعض ، فإنها تصون وتحافظ على جميع حروف هذه الكلمة ، فهو الأساس الذي تقوم عليه جميع العلوم كيف يستطيع عالم الصرف أن يعلل لقضية الإبدال إذا لم يكن عالماً بمخارج الحروف وصفاتها ، بل هناك أمور دقيقة تظهر جلية في باب معرفة مخارج الحروف وصفاتها يتعين معرفتها في علم التفسير ، فصفة واحدة في الحرفين تفرق بين المعنيين المختلفين نحو : « أصروا » و « أسروا » ونحو : « قصمنا » و «قسمنا» ونحو : « يقنت » و « يقنط »

فالمفسر يحتاج إليه **والنحوي** يحتاج إليه **والصرفي** يحتاج إليه **والبلاغي** لا تقوم له قائمة إلا به

التجويد يهتم بالألفاظ والحروف ، حماية وصيانة للمعنى من الضياع ، ومن فوائد بناء الكلمة وتركيب الجملة واختيار القافية وتتميم الوزن ليؤدى النَّغم المطلوب المؤتلف غير المختلف ، وإيجاد المؤاخاة بين الحروف وعدم التنافر .

وفضله في باب البلاغة لا ينكر ، فقد اتفق علماء البلاغة أن الفصاحة

والبلاغة هي إذا تباعدت مخارج الحروف وائتلفت الصفات[1] ، فإن علم التجويد يحافظ على اللبنات الأساسية التى يبنى منها الصرفي كلامه والنحوي إعرابه والبلاغى نظمه ، **فهو الميزان الدقيق للنطق الفصيح البليغ**

ولذلك قال ابن الجزرى

إذ واجبٌ عليهمُ محتمُ
قبلَ الشروعِ أولاً أن يعلمُوا
مخارجَ الحروفِ والصفَاتِ
ليلفظُوا بأفصحِ اللغاتِ

ولم يقل رحمه الله ليلفظوا بالقرآن فقط

• **ولذلك** ؛ تجد كتب اللغة ومصادرها العريقة تحدثت عن مخارج الحروف والإدغام

فهذا إمام اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تكلم عن مخارج الحروف وصفاتها ، وبنى كتابه على حرف العين ، **ومن أعجب ما قال**

فإن وردت عليكم كلمة رباعية أو خماسية معرّاه من حروف الإذلاق ، ولا يكون في تلك من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك ، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب ؛ لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلقية أو الشفوية واحدًا أو اثنان أو أكثر[2].

مع التنبيه ؛ أن حروف الإذلاق وهي مجموعة في قولهم « **فرّ من لبّ** » مقررة في كل كتب التجويد ، **ولا علاقة لها البته في أداء التلاوة**

---

(١) انظر : «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» (٩٦) «سر الفصاحة» (٦٦،٩١) «جواهر البلاغة» (٢٠) .
(٢) كتاب «العين» للخليل (٥١/١)

○ **وتحدث الإمام الحنبلي أو العلاء الهمذاني** عن أسماء الحروف ومخارجها فقال

« اعلم أن هذا الباب من أشرف أصول القراءة وأهم فصول التلاوة ، وذلك ؛ أن الحروف أصل الكلام كله ، وعليها مدارُ تأليفه

فإذا عَرَفَ الحروف وأتقنها ولاحظ أجناسها وأحكمها ، ثم انضاف إلى ذلك طبع يتقبل هذا الشأن ويمتزج به أشفى به ذلك على القراءة الصحيحة والألفاظ القويمة بعون الله ومنّه »[1].

○ **وقال الإمام عبدالوهاب القرطبي**

« **الفصاحة** : إيصال اللفظ إلى السمع في أحسن صورة من النطق وعمادها معرفة مخارج الحروف من مواضعها وأحوازها لتأتي عند النطق بها على كمال اللفظ »[2].

• **ورد الإمام الشيخ محمد بن أبي بكر المرعشي** على من قصر علم التجويد على التلاوة ، فقال

« **وفيه نظر ؛ لأنه** يبحث فيه عن أحوال الحروف أينما وقعت»[3]

ثم علمُ التجويد كله مبني على معرفة مخارج الحروف، فإن من أتقن إخراج الحروف من مجاريها ،وأحكم صفاتها اللازمة والعارضة ، وأحسن اختيار الوقف والابتداء ، وروّض لسانه على تلاوة القرآن ، فإنّ ذلك يعد قد قام ، بما يجب عليه، ولم يبق عليه بعد ذلك إلا مسائل يسيرة من السهل عليه جدًا معرفتها.

---

(١) «التمهيد» ٢٧٣

(٢) «الموضح» في التجويد (٦٦)

(٣) «جهد المقل» (١٠٩).

وهذا هو الأصل الثانى من أصول التربيه والتعليم كما رسمه القرآن الكريم في الآيات السابقة « يتلوا عليهم آياتك »

وهذا هو منهج النبي ﷺ في صفة التلاوة والترتيل

فعلى الطلاب والدارسين أن يقتدوا به وبفعله وطريقته ﷺ

o وقد كانت فائدة هذا الأصل الدراسي في بيان تحقيق الألفاظ القرآنية، وتصحيح النطق بها سالمة من اللحن والتحريف ؛ **لأن** الخطأ فيها يلزمه حتمًا تغيير في المعنى ، فلا يستقيم المعنى إلا إذا استقام اللفظ

ومن ثم ؛كان ترتيبه في المحل الأول في جميع الآيات القرآنية التي كانت هي مصدرنا في هذه المنهجية

فالقرآن محفوظ - بحفظ الله - في هذه الألفاظ ، وهي التلاوة ومسطور في المصاحف **لحفظه في جهتين**: جهة الكتابة - كما تقدم في الأصل الأول ، وجهة التلاوة ؛ والاعتناء بهذه كالاعتناء بتلك

o **قال الشيخ محمد عبد الله دراز**

«رُوعي في تسميته قرآنًا كونه متلوا بالألسن كما رُوعي في تسميته كتابًا كونه مدوَّنا بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد ، **أعني** أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً :﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ ، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرّة ، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى

يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر »[١]، والله أعلم

سابعاً الأصل الثالث من أصول التربية والتعليم تفسير القرآن وبيانه .

تعليم الكتاب منصوص عليه في هذه الأصول في قوله تعالى ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ عطفًا على قوله ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ ، عطف جملة على جملة ، وكما أن **غاية علم الترتيل** النطق الصحيح الفصيح لألفاظ القرآن الكريم ، فإن **غاية تعليم الكتاب وتفسيره وبيانه** :الفهمُ الصحيحُ لمعانى القرآن الكريم ، ومن ثم عطف على التلاوة فكان ترتيبه في المحلّ الثانى في جميع الآيات القرآنية التي بنينا عليها هذه الأصول

○ والارتباط بين هذا الأصل : **تعليم الكتاب** ، والأصل الذى عطف عليه وهو **التلاوة** واضح جلي ، فلا يستقيم المعنى إلا إذا استقام اللفظ فمبنى الكلمة ومعناها مطلوبان ومتلازمان ، ولاغنى لأحدهما عن الآخر ، بل مبناها هو الأصل والأساس الذى يقوم عليه المعنى ، بل لا وجود للمعنى إلا بإقامة المبنى، **ومن ثم** ؛ وجب تصحيح النطق بألفاظ القرآن أولا محافظة على المعنى.

فيكون المعنى : أن هذا المعلم ﷺ يتلو عليهم القرآن ويبين لهم معانى هذا الكتاب ، وما خفي عنهم من أسراره وأحكامه وحكمه ، وهذا من وظائفه ﷺ أن يبين ويعلم معانى الكتاب ، ﴿وأنزلنا إليك الذّكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلهم يتفكرون﴾ فكان مبلغًا لكتاب الله العزيز ، ومبيناً لأحكام القرآن الكريم، وموضّحًا لآياته البينات

ومما لاشك فيه ولا خلاف عند جميع المسلمين أن القرآن الكريم حوى بين دفتيه أنواعًا من العلوم والمعارف يعجز البشر عن الاتيان بمثلها، وتضمن

---

(١) «النبأ العظيم» من (٦٥).

أحكامًا وحكما وأخبارا بها يحقق الإنسان سعادته في الدنيا والآخرة

ولا سبيل إلى معرفة هذه العلوم ، وهذا التشريع وهذه الهدايات ، والوقوف عليها والعمل بها ، والاتعاظ بها إلا بفهم القرآن ، وتفسيره ، وتدبره ، والتفقه فيه، والاستغناء به عن غيره ، **كيف يتعظ الإنسان بما لا يفهم** ؛ لأن ملكة الفهم دخلها الفساد ، فصار الناس لا يفهمون القرآن ، ولا يفقهون ما فيه ، وبدون فهم للقرآن وتفسيره لا يمكن الوصول إلى كنوزه ومعارفه مهما ردّدنا تلاوته وأقمنا حروفه.

الناس لم يعودوا يتأثرون بالقرآن الكريم ، كما كان الجيل الأول يتأثرون به ، فقد حالت بينهم وبينه غيوم كثيفة وحجب وموانع ، **ومن أشدها كثافة** عدم فقه اللغة العربية التي هي وعاؤه ، وإن اللسان العربى وملكة البيان دخلها الفساد

○ قال الإمام الشاطبي

«إن القرآن نزل بلسان العرب ، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم ، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة»(١)

○ وقال الحافظ السيوطى

ونحن محتاجون إليه - التفسير - وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير»(٢)

---

(١) «الموافقات» للشاطبى ٦٤/٢ ، ١١٥/٤

(٢) «الاتقان في علوم القرآن» (٣٨٥/٢) ، راجع «تفسير القاسمى» (٢٠٢/١ - ٢٠٧) .

• وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحتاجون إلى تفسير النبيّ ﷺ كما أثر عنه أنه فسرلهم كثيرًا من الآيات

منها قوله تعالى ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾[1] **فقد فسرها بقوله** « ألا إن القوة الرّمي ، ألا إنّ القوة الرمي »[2].

كما فسر لهم قوله تعالى :﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم﴾[3]؛ بأن السبع المثاني هي فاتحة الكتاب

وكما فسر لأصحابه قوله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾[4] ؛ بأنه حوض نهر وعدنيه ربي عليه خلق كثير [5].

قال ابن العربى المالكى

« وبعد تفسير النبي فلا تفسير ، وليس للمتعرّض إلى غيره إلا النكير »[6].

وقد استشكلت بعض الآيات على بعض الصحابة وفهموها على غير المراد ؛ فبينها لهم

روى البخارى ومسلم أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية :﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن

---

(١) من [الآية: ٦٠ :الأنفال]

(٢) الحديث رواه مسلم انظر «تفسير ابن كثير» (٣٣٤/٢) القرطبى (٣٦/٨).

(٣) [الآية: ٨٧ :الحجر]

(٤) انظر «تفسير ابن كثير» (٥٧٧/٢) «الجامع القرطبي» (٥١/١٠).

(٥) انظر «فتح القدير» (٧١٧/٥).

(٦) «أحكام القرآن» لابن العربى (١١٣/٣).

وهم مهتدون ﴾[(١)]. **قال الصحابة** - رضي الله عنهم -: «وأينا لم يظلم نفسه ؟ وشق ذلك عليهم فقال: ﷺ « إنّه ليس الذى تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ إنما هو الشرك »[(٢)].

○ من مهام هذا المعلم أنه يتلو عليهم القرآن ، ويعلمهم معانى الكتاب ، وما خفي من معانيه ، وما أشكل عليهم ، فكان الصحابة - رضي الله عنهم - يرجعون إليه عند الحاجة ، فعلمهم تلاوته ، وعلمهم معانيه ، ويبنها لهم

○ **تعليم الكتاب يكون** : ببيان ما خفي من معانيه وحقائقه ، وما اشتمل عليه من أحكام وحكم ومواعظ وآداب وأخلاق ،

وبالجملة ؛ هو بيان المقاصد التي من أجلها نزل القرآن

○ **وتعليم الكتاب غير تلاوته ؛ لأن** تلاوته تكون بقصد : **حفظ الألفاظ** ، وتعليم الكتاب يكون بقصد **حفظ المعاني** والأحكام والحكم التي اشتمل عليها وفهمها وهو تفسير القرآن وبيانه ليتبعه العمل والسلوك

ومن مهمة الرسول ﷺ ووظيفتة البلاغ والبيان وكل منهما يتضمن الآخر.

قال تعالى :﴿ وأنزلنا إليك الذّكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾[(٣)]

وقال تعالى :﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾[(٤)]

والقصد الأول من البلاغ بلاغ المعنى وبيانه، وأنه في أعلى درجات البيان - كما قال تعالى :﴿وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغًا﴾[(٥)]

---

(١) [الآية: ٨٢ :الأنعام]

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٧٠/٢).

(٣) من [الآية: ٤٤ :النحل]

(٤) من [الآية: ٥٤ :النور]

(٥) من [الآية: ٦٣ :النساء]

قال ابن تيمية

« إن الصحابة - رضي الله عنهم - نقلوا عن النبي ﷺ أنّهم كانوا يتعلمون التفسير مع التلاوة »

وقال « وأخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه[١] »

والتعليم يتناول هذا وهذا

فالرسول المعلّم ﷺ بين لأصحابه القرآن **لفظه ومعناه** ، فبلغهم معانيه، كما بلغهم ألفاظه ، ولا يحصل البيان والبلاغ المقصود إلا ببيان لفظه ومعناه ، فنقل معانى القرآن عنه ﷺ كنقل ألفاظه سواءً بسواء

○ وعلى هذه الطريقة سار الصحابة رضي الله عنهم

قال أبو عبد الرحمن السلمي « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن - كعثمان بن عفان وعبد الله ابن مسعود وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا عن النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»[٢]

ولأجل فهم المعنى نزل القرآن بلسان عربي مبين **قال تعالى:** ﴿إنا أنزلناه قرءاناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾[٣]

قال ابن تيميه

﴿ وتعقلون ﴾ يعنى تفهمونه فهما كاملاً ؛ **لأنه** من المعلوم أنه لو نزل على العرب بلغة غير العربية ما عقلوه ولا فهموه ، والعقل يأتي بمعنى الفهم كما قال تعالى: ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من

(١) «التفسير الكبير» (٢/١٠٤) ، (٢٥٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة رقم (١٠/٤٦١) وابن سعد (٦/١٧٢)

(٣) [الآية: ٢ :يوسف]

بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾[1].

فكانوا يجمعون بين ضبط التلاوة وفهم المعنى والعمل بما فيها .

قال ابن القيم :

« ولم يكن للصحابة - رضي الله عنهم - كتاب يدرسونه ، وكلام محفوظ يتفقهون فيه إلا القرآن وما سمعوه من نبيهم ، ولم يكونوا إذا جلسوا يتذاكرون إلا في ذلك »[2].

○ وهكذا تلقى السلف الصالح هذا القرآن لفظًا ومعنى وتفقهًا وكانوا ينكرون على من انصرف عن فهم القرآن

روى ابن جرير الطبرى ، عن سعيد بن جبير ، قال « من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمى »

وفي بعض الروايات «كالأعرابى يَهُذّ الِشّعْرَ هذّاً »[3].

○ **وذكر** ابن القيم وابن كثير أن عدم فهم القرآن ، وعدم التفقه فيه ، وعدم تدبره **نوع من أنواع هجر القرآن**

قال ابن كثير

« وترك الإيمان به ، وترك تصديقه **من هجرانه** ، وترك العمل وامتثال أوامره ، واجتناب زواجره **من هجرانه** ، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره **من هجرانه »**[4].

○ **إن القرآن الكريم** لم ينزل لمجرد التلاوة اللفظية بإقامة الحروف فحسب ،

---

(١) [الآية: ٧٥ :البقرة] انظر المقدمة (٢٤)

(٢) «الصواعق المرسلة» (٤٤١)

(٣) «تفسير الطبرى» (٣٥/١) «الإتقان» (١٢٥/٢)

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣٢٩/٣) «بدائع التفسير» (٣٩٣/٣)

بل نزل من أجل هذا ، ومن أجل ما هو أهم وأكمل ، وهو فهم معانيه ، والتذكر بما فيه ، والعمل به

إن تلاوة القرآن تعني شيئًا آخر غير المرور بكلماته بصوت أو بغير صوت ، إنها تعني إقامة حروفه ، وإقامة حدوده إنها تعني تلاوته بفهم وتدبر ينتهي إلى إدراك وتأثر وإلى عمل بعد ذلك وسلوك

أقول

إن انفصال المقررات الدراسية والمواد كالفقه وأصوله والتوحيد وغيرها ، **ليس من طبيعة هذا الدين ولا من شأن عمل السلف** ، فإنهم كانوا يأخذون أحكام القرآن كلها ، ولا يجزئونها ، ولم تكن العلوم مميزة ، فابن عباس رضي الله عنه يتكلم في مجلس واحد في مسائل متنوعة في فروع متعددة [١]

وإذا انفصلت ؛ قد يدخلها استحسانات العلماء واجتهاداتهم ، فيدخل فيها ما ليس منها ، وربما يخرج منها ما هو منها فتكون عرض التغيير والتبديل ، بخلاف ما إذا كانت موصوله مربوطة بأصلها القرآن الكريم المحفوظ بحفظ الله له

إن علوم الشريعة تأبى الانفصال والاستقلال ، ولا تبقي لها طراوتها وحلاوتها وروعتها ، إذا بترت من أصلها القرآن ، وقد تموت كالغصن إذا بان من الشجرة ،فغذاؤها قد ينقطع ، ولا يكون إلاَّ إذا كانت موصولة بأصلها ، وحينئذ فلابدّ من ربط كل العلوم الإسلامية وهذه المقررات الدراسية بالقرآن الكريم ، ولا يحقق هذه الغاية بأي حال من الأحوال إلا تفسير القرآن والتفقه فيه دون سواه ، فهو وحده الكفيل بتحقيق شمولية التربية والتعليم من جميع النواحى ، فيجب علينا وعلى جميع رجال التربية والتعليم أن يستغنوا بمعاني

---

(١) انظر «ضحى الإسلام» (١١/٢)

القرآن وأحكامه وحكمه عن غيره من كلام الناس ﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليكم الكتاب يتلى عليهم ، إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾.[1]

كيف تسعى لطلب العلوم والقرآن مصدرها ، وهذا الفضيل بن عياض يصحح للطلاب توجُّههم في طلب العلم ويردُّهم إلى القرآن ردًّا ، ويعتبر طلبهم للعلم في غير القرآن ضياعًا لأعمارهم

فقد ذكر الإمام القرطبي « أن فضيل بن عياض قال لقوم قصدوه ليأخذوا عنه العلم « لوطلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون » ، فقالوا « فقد تعلمنا القرآن ، فقال « إن في تعلمكم القرآن شغلاً لأعماركم وأعمار أولادكم » ، فقالوا كيف يا أبا علي ؟ قال « لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ، فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينه»[2]

○ **والمراد بالإعراب في لسان المتقدمين** التفسير وعلوم القرآن

قال السيوطي مبيناً معنى الإعراب :« المراد بإعرابه معرفة معانى ألفاظه وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة»

وقال في موضع[3] آخر « معنى هذا الأثر عندي إرادة البيان والتفسير ، لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحوي اصطلاح حادث»[4].

إذن ؛ كيف نستغني عن كتب الناس كما ذكر فضيل بن عياض وغيره ، وكيف نستغني عن مادة العقيدة ومادة الحديث ومادة الفقه وجميع مقررات علوم الشريعة؟!

---

(١) من [الآية: ٥١ :العنكبوت]

(٢) «الجامع للقرطبي» (٣٠/١) «فتح القدير» (١٤/١)

(٣) انظر «الإتقان» (٢٤٤/١)

(٤) «الإتقان» للسيوطي (٣٨٥/٢)

أقول :

الجواب في قوله تعالى :﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾[١] فلا نستغني عن كل ذلك ، بل بواسطتها ندخل ساحة القرآن فنتخذها مطية ووسيلة للوصول إلى النبع الأصيل القرآن الكريم فهو المحطة الأخيرة النهاية، ولا ينبغي أن نظل طول العمر نردّد ما في هذه الكتب

فإن القرآن الكريم فيه الكفاية وزيادة على ذلك ، فجميع العلوم الإسلامية قد استقل ببيانها

وقد أدرك هذا المعنى الإمام القرطبي - رحمه الله - واشتغل بالقرآن فقال: «فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع رأيت أن أشتغل به مدى عمري وأستفرغ فيه قوّتي[٢]»

وأضرب لذلك أمثلة واقعية اتفق عليها على أننا نستطيع أن نستغني بالقرآن الكريم عن جميع المقررات

أولاً : مقرر التوحيد :

o من أبرز العلوم التي يتعلمها الناس في تفسير القرآن الكريم هو **علم العقيدة**، وهي رأس العلوم الإسلامية ، وقد أخذت حيّزًا كبيرًا من كتاب الله تعالى

قال ابن القيم

« وغالب سور القرآن متضمنة لأنواع التوحيد بل كل سورة في القرآن ، **فإن القرآن** إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته ، وهو التوحيد العلمى الخبري ، وإما دعوة إلى عباده الله فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، **وإما** أمر

(١) من [الآية: ٥١ :العنكبوت]

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١/١٤)

ونهي وإلزام بطاعته ؛ فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته »[1]

وقال حافظ الحكمى

« والقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير هذين التوحيدين»[2].

وقال ابن القيم

« إن كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه»[3]

وقال الشيخ محمد النجدى

«والقرآن الكريم لا تكاد تخلو آية من آياته من صفة لله سبحانه أو اسم من أسمائه الحسنى »[4]

وقال ابن أبي العز شارح متن الطحاوي

«فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم »[5]

أقول

وإذا كان القرآن كله في تقرير التوحيد بأصنافه وأنواعه ، وإكرام الله لأهله، وبيان خطر الشرك وذم أهله ، فإن تفسير القرآن والتفقه فيه والاقتصار عليه هو الذى يغطي هذا المجال الواسع وبغير التفسير ، يبقي المجال ناقصًا، فالذى يفصل أحكام العقيدة ، ويأخذها من القرآن بانتقاء وفصل كل ما يتعلق بالتوحيد لا يستطيع ، وليس في مقدور الإنسان أن يعزلها من الأصل الذي يغذيها وقد تموت ، وإذا اقتصر على بعض منها فهذا قصور ونقص لأنه لم

(١) «مدارج السالكين» (٤٥٠/١)
(٢) «معارج القبول» (٥٧/١)
(٣) «أسماء الله الحسنى» (٤٠)
(٤) «النهج الأسمى» (٧/١)
(٥) «شرح الطحاوية» (٤١)

يستوعب كل الآيات التي تتعلق بالعقيدة ، بل لا يتصور ذلك عقلاً لأن العقيدة تغذي الأحكام ، والآية الواحدة قد ارتبطت فيها الأحكام بالعقيدة كارتباط الجواب بشرطه ، **نحو قوله تعالى** :﴿ فإن فاءو فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾[١].

○ **الأحكام الشرعية لا تنفك عن العقيدة** ، فقد أظهر الاستقراء أن التعقيب بأسماء الله وصفاته يكثر في أعقاب الآيات التي تتضمن حدودًا شرعية وأوامر تكليفية[٢].

وكثيرًا ما تختم الآيات القرآنية بأسماء الله وصفاته الحسنى ؛ **للتدليل** على أن الحكم الشرعي الذي تضمنته هذه الآيات له تعلق كبير بذلك الاسم الكريم، فخواتم الآيات مرتبطة بموضوعاتها، وإذا تتبعت هذا النوع من علوم القرآن تجد أن ما تضمنته الآية من المعاني والأحكام في غاية المناسبة مع خواتمها، وهذا يدل على ارتباط الأحكام الشرعية بأسماء الله وصفاته ، وارتباط أسماء الله وصفاته بالأحكام فلا ينفصلان أبدًا

وقد نبّه على هذا التعلق والارتباط الشيخ السعدى في قواعده

فقال :« وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه ، وهو من أجلّ المعارف وأشرف العلوم»[٣].

ثم ساق أمثلة تطبيقة على ذلك أكتفى بذكر مثال واحد : **قال رحمه الله** : « وقد يكتفي الله بذكر أسمائه الحسنى عن التصريح بذكر أحكامها وجزائها ، لينبه عباده أنهم إذا عرفوا الله بذلك الاسم العظيم عرفوا ما يترتب عليه من الأحكام ، مثل قوله تعالى: ﴿ فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات ﴾ لم

---

(١) من [الآية: ٢٢٦،٢٢٧ :البقرة]

(٢) «قواعد التفسير» (٧٤٤) «التناسب البياني» (٩٩).

(٣) «القواعد الحسان» (٥٩)

يقل : فعليكم من العقوبة كذا، بل قال :﴿ فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾[1] ، فإذا عرفتم عزّته وحكمته أوجب لكم ذلك الخوف من العقوبة ، وحملكم ذلك على الامتثال[2].

فثبت بهذا يقينا أن فهم القرآن والتفقه فيه أكمل وأجمع لعلوم الشريعة، وفيه غناء، ويكون التفسير شارحًا لهذا التوحيد ومبينًا له

ثانيا : مقرر الحديث :

وإذا انتقلنا إلى الحديث النبوى الشريف نجد أنّه نوع من التفسير، فإنه المبين لمراد الله تعالى من الآية ويشهد بما شهد به القرآن ، وهو التطبيق العملي لمعنى الآية النظري ، فالطالب في تفسير القرآن يتعلم الحديث ، وأضافه عبد العظيم الزرقاني إلى علوم القرآن **فقال**

« إذا أضفت إلى علوم القرآن ما جاء في الحديث النبوى الشريف وعلومه وكتبه وبحوثه باعتبارها من علوم القرآن نظرًا إلى أن الحديث شارح للقرآن يبين مبهماته ويفصّل مجملاته ويخصص عامّه»[3]

قال الواحدى

« لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها ، وبيان نزولها »

وقال ابن دقيق العيد

« بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن »[4]

قال الشيخ الطاهر بن عاشور : «إن من أسباب النزول ما ليس المفسّر بغنى

---

(١) [الآية: ٢٠٩ :البقرة]

(٢) انظر «القواعد الحسان» (٦٤) بتصرف يسير

(٣) «مناهل الفرقان» (٣٣/١)

(٤) انظر «الإتقان» (٦٢/١)

عن علمه، لأن فيها بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز ومنها ما يكون وحده تفسيراً، ومنها ما يدل المفسر علىطلب الأدلة التي بها تأويل الآية أو نحو ذلك»[1].

وهي ذات صلة وثيقة بعلم الحديث إذ تشكل أسباب النزول جانباً كبيراً من كتاب التفسير عند البخاري والترمذي والنسائي في سننه الكبرى والحاكم وغيرهم، وهي ذات طبيعة حديثه[2]

○ **قال ابن حزم في «كتاب الأحكام»** ، وهو يتحدث عن السّلف الصالح كيف كانوا يتعلمون الدين :« كان أهلُ هذه القرون الفاضلة المحمودة يطلبون حديث النبي ﷺ والفقه في القرآن الكريم »[3]

ومن ثم ؛ كانت الحاجة ماسة إلى الأحاديث النبوية التي تبين معنى الآية ، فالأحاديث الصحيحة المروية في أسباب نزول الآية وبيان المراد منها هو تفسير وبيان

فهذه الأحاديث تَكشف معاني القرآن كشفًا مفصلًا وتقرب المراد ، وتدفع عن الآية الاحتمالات ، وتفسر المجمل منه وتبينه وتوضحه

⊙ وأضرب لذلك مثلًا أن قوله تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطّوف بهما﴾[4] **يوهم ظاهر هذه الآية** أن الطواف بين الصفا والمروة من الأمور المباحة ، ويبني على هذا الظاهر أن الحج يصح دون طواف بين الصفا والمروة وكذلك العمرة ، وهذا ما فهمه عروة بن الزبير من فقهاء المدينة السبعة ، **فأزالت له هذا الفهم خالته**

---

(١) «التحرير والتنوير» (٤٧/١)

(٢) وانظر «أسباب النزول» د. الرشيد (١٠٢)

(٣) انظر «آثار عبد الحميد بن باديس» (٧٥/٤)

(٤) من [الآية: ١٥٨ :البقرة]

عائشة ، وبينت له ذلك بقولها وقد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما»[1] **قال** ﷺ « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي »

وإنما جاءت الآية ترفع الحرج عن العرب ، وكانوا يقولون إنَّ السّعي بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية ، لأنه كان عليها أصنام ، **فجاءت الآية ترفع** الحرج[2]

فلولا هذه المرويات الحديثية في بيان سبب النزول لما استقام المعنى، وخير من يمثلُ هذا الاتجاه في ذكر الأحاديث بعد الآيات من المفسرين **الحافظ ابن كثير في تفسيره** ، وحينئذ فإن الحديث سواء المروي في بيان سبب النزول أو في بيان معنى الآية يندرج في علم التفسير

وبعد تفسير النبي فلا تفسير

ثالثاً : مقرر الفقه :

وإذا عرّجنا إلى مادة الفقه ومقرراته ، نجد أن مقرر الفقه يندرج في علم التفسير ، وهو جزء ضئيل جداً من التفسير، ولا يزال هناك في القرآن فقه ضخم لا يعرف إلا في التفسير

قال رشيد رضا

« الأحكام العملية التي جرى الاصطلاح على تسميتها فقها هي أقل ما جاء في القرآن، وأن ما بقي فيه من التهذيب والتربية والفقه والأخلاق والآداب والعلوم والمعارف مالا يستغنى عنه، وما هو أجدر بالدخول في الفقه

(١) ذكرها البخارى في باب وجوب الصفا والمروة (١٦٤٣) ومسلم في الحج باب بيان أن السعي ين الصفا والمروة ركن (١٢٧٧)

(٢) انظر «الجامع للقرطبي» (١٧٤/٢) ابن كثير (٢٠٤/١)

الحقيقي »[١]

○ الفقه في القرآن سابق على فقه الأحكام[٢] ، وإنّ آيات الأحكام إذا ما قيست بالآيات الأخرى نجد أنها أقل الآيات عددًا ، وصرف العلماء جهودهم في آيات الأحكام ، ولم يعطوا الاهتمام الكافى لبقية الآيات الأخرى على أهميتها، لذلك فإن علمَ التفسير والتفقه في القرآن هو السبيل الوحيد الذي يستوعب هذا العدد الضخم من الآيات القرآنية الأخرى، وحينئذ فإن علم التفسير يعمق هذا الفقه ويوسع دائرته، فيتعلم الطالب نوعًا آخر من الفقه غير الذي تعوّده في كتب الفقهاء ومارسه في حياته العملية فهو أرحب وأوسع مجالاً وأعمق أثراً ، **لأنّه** يمر على جميع آيات الأحكام فيتكامل الموضوع لديه .

◎ **ومن سلبيات عرض مادة الفقه بالطريقة المستقلة عن القرآن وتفسيره** : لا تؤدى الغرض المطلوب حيث يؤدي مدرس المادة عرضه بذكر المسألة والتعريف بها، ثم بأقوال العلماء فيها ثم يورد الدليل من القرآن أو السنة أوهما معا، فيقول دليل هذه المسألة كذا ، ودليل هذا القول كذا، ودليل المخالفين كذا ويسرد الدّليل ، هذا إذا كان يذكر الدليل ، وهو أحسن أحواله.

○ **الدارس والمتعلم هنا ؛ لا يعرف القرآن إلا دليلاً** ، **وصار القرآن كله دليلاً**، ولا يفهم معنى هذا الدليل ، وقد كنا نعاني الشيء الكثير من ذلك عندما كنا طلابا، حتى إننا لم نستطع إيجاد علاقة بين الدليل والمدلول عليه لجهلنا بمعنى الدليل ، وهو الآية القرآنية وفهمها

الطالب والمتعلم يحتاج إلى استخراج هذه العقيدة وهذا الفقه، وهذه

(١) بتصرف يسير في «تفسير المنار» (١/١٩)

(٢) انظر «كيف نتعامل مع القرآن» (٤٧)

الأحكام، وهذه الحكم ، من هذه الآية ، وهذا الدليل ببيانها وشرحها وأسباب نزولها وأفهام العلماء فيها، واستنباط الفقه منها، وحينئذ يؤول الفقه والعقيدة بهذه الطريقة إلى تفسير وفهم للقرآن وربط للطالب به، هذه هي الطريقة المثلى في التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم ، فتحقق الغاية المرجوة إن شاء الله.

ثامنا: بيان الأصل الرابع ، وهو تعليم الحكمة

○ الأصل الرّابع من هذا المنهج الدراسي الكامل:

تعليم الحكمة فهي في المرتبة الرابعة بعد تعليم الكتابة والخطّ وتلاوة القرآن وتعليم الكتاب ثم تعليم الحكمة، فمن صفات هذا المعلم ﷺ أنه يتلو عليهم الآيات القرآنية، ويعلمهم معاني الكتاب ، وهو تفسيره وبيانه ثم يعلمهم الحكمة.

وتأمل أخي هذا التركيب العجيب، وهذا الأسلوب البديع حيث أفرد لتلاوة الآيات فعلًا ، وهو ﴿يتلوا﴾ ، وجاء بفعل آخر لتعليم الكتاب للدلالة على التباين بينهما

فإن تعليم الكتاب غير التلاوة

فإن التلاوة ؛ تكون بقصد حفظ الحروف ، **وتعليم الكتاب** ؛ يكون بقصد حفظ المعاني ، وأشرك الكلمة في نسق التعليم بفعل واحد: ﴿ويعلمهم﴾ ؛ **لأنها** مربوطة بتعليم الكتاب ، وتعلم كما يعلم الكتاب ، فهما كالشيء الواحد ، وحذف كل ذلك من التزكية ، **لأن التزكية** لا تعلم ولا تحفظ ولا تتلى، **وإنما هي ثمرة من ثمرات التلاوة وتعليم الكتاب وتعليم الحكمة**

فإذا لم تثمر هذه الأصول الدراسية التزكية **فهي كالعدم**، فإنما هي محض سلوك وعمل يظهر بعد التلاوة وبعد تعليم الكتاب وبعد تعليم الحكمة.

○ **ونحن الآن** ؛ نقوم بعملنا هذا بتعليم التزكية كالصناعة والحرفة التي يحتاجها الإنسان، ويقوم بها عند الحاجة لتدر عليه نفعا ما ، هذه حالنا

ورب حال أفصح من لسان

من صفات هذا المعلم أن يعلمُهم الكتاب والحكمة كما تقدم قوله تعالى: ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾

والقرآن الكريم يبين لنا أن الله أنزل الحكمة كما أنزل القرآن، وأنها تتلى **فقال**: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾(١)

وقال :﴿واذكروا نعمت الله عليكم ، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾(٢) ، وأمر الله أزواج النبي ﷺ أن يتذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة ، **فقال**: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾(٣)

ففي هذه الآيات ؛ بيان لوظائف هذا المد،م، وأنه يتلو عليهم الآيات ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأن الله قد أنزل الحكمة كما أنزل عليه القرآن ، **فنوع المتلوّ إلى نوعين**: آيات وهي القرآن ، وحكمة: وهي الس نة، وبها تتبين مقاصد القرآن وأسراره وأحكامه وحكمه

◉ ودلَّ الاستقراء والتتبع لكلمة «**الحكمة**» في القرآن الكريم أنها وردت في كتاب الله على نوعين مفردة، ومقترنة بالكتاب

---

(١) من [الآية: ١١٣ :النساء]

(٢) من [الآية: ٢٣١ :البقرة]

(٣) من [الآية: ٣٤ :الأحزاب]

أولاً المفردة :

فقد وقعت في تسعة مواضع ، وقد فسرت بالنبوة ، والفهم والقرآن وتفسير القرآن[1]

وفسرت الحكمة بعلوم القرآن وفقه ما فيه من علوم

ذكر ابن الجوزي أن من معانى الحكمة علوم القرآن[2]

ويدل له ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا﴾[3]

قال « المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله»

وفي رواية عنه: هي :« التفسير والتفقه في القرآن »[4]

وقال مجاهد: « هي القرآن والعلم والفقه، وهي الإصابة في القول والعمل » ، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والفقه في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان»[5]

○ **وقد تطلق الحكمة على امتثال الأوامر واجتناب النواهي** ، وهي العمل بما جاء في القرآن أمرًا ونهيًا وترغيبًا وترهيبًا ،كما جاء ذلك صريحًا في قوله تعالى:﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾[6] واسم الإشارة يعود إلى ما تقدم ذكره من التكاليف الشرعية التي لا يتطرق إليها النسخ، والتي تبلغ

---

(١) «إصلاح الوجوه والنظائف» (١٤١) «الأشباه والنظائر» (١١١)

(٢) «نزهة الأعين النواظر» (٢٦٢)

(٣) [الآية: ٢٦٩ :البقرة]

(٤) «الإتقان في علوم القرآن(٣٨٥/٢) «فتح القدير» (٢٩١/١)

(٥) «بدائع التفسير» (٧٧/٢)

(٦) [الآية: ٣٩ :الإسراء]

خمسة وعشرين تكليفًا بدءًا من قوله تعالى :﴿ لا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا مخذولًا ﴾[1] ، وختمها بقوله ﴿ ولا تجعل مع الله آلهًا آخر فتلقى في جهنم ملومًا مَدحورًا ﴾[2]

◎ **وقد أنزل الله الحكمة على جميع الأنبياء**

فقال في سياق عيسي عليه السلام ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾[3]

وأعطاها لآل إبراهيم عليه السلام فقال ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾[4]

وقال في سياق داود :﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾[5]

○ **ما من نبيّ إلا وأعطاه الله الكتاب والحكمة كما أخذ عليهم الميثاق ، فجمعتهم هذه الآية** :﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنُنَّ به ولتنصرنّه﴾[6]

وأعطى لقمان الحكمة :﴿ولقد آتينا لقمان لحكمة أن اشكر لي﴾[7]

• **وخلاصة القول** أن الله أنزل الحكمة على رسوله ﷺ كما أنزل الكتاب، وأمره أن يعلم الناس الحكمة ، ويدعو بالحكمة :﴿ دع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[8]

ثانياً : الحكمة المقرونة بالكتاب

وكلمة الحكمة عادة تأتي بعد كتاب منزل ، وجاءت في اختيارنا لهذه

(١) [الآية: ٢٢ :الإسراء]
(٢) [الآية: ٣٩ :الإسراء]
(٣) من [الآية: ٤٨ :آل عمران]
(٤) من [الآية: ٥٤ :النساء]
(٥) من [الآية: ٢٠ :سورة ص]
(٦) من [الآية: ٨١ :آل عمران]
(٧) [الآية: ١٢ :لقمان]
(٨) [الآية: ١٢٥ :النحل] .

الأصول كلّها مقترنة بالكتاب ومتصلة به، ومن ثم اشتركت الحكمة في نسق تعليم الكتاب ﴿ويعلمُهُم الكتاب والحكمة ﴾ وارتبطت به ارتباطًا وثيقًا فشاركت الكتاب في التعليم ، فيجب أن تعلم كما يعلم الكتاب

واتفق علماءُ التفسير أن الحكمة المتصلة بالكتاب هي **السنة**

وفسرها بذلك الحافظ ابن كثير ، وعزاه إلي غير واحد من السلف ، وهو ما أخذ عن الرسول ﷺ سوى القرآن « ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه » .

ومصداق ذلك في كتابه الكريم: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علّمه شديد القوى﴾[1]

قال الشافعي الحكمة سنة رسول الله ﷺ ، وهو قول **قتادة** وغيره ، ورجّحه أصحاب الشافعى ، **والدليل عليه** أنه تعالى ذكر تلاوة الكتاب أولاً وتعليمه ثانيًا، ثم عطف عليه الحكمة، فوجب أن يكون المراد من الحكمة شيئًا خارجًا عن الكتاب، وليس ذلك إلا سنة الرسول ﷺ[2]

فإن الحكمة هي أحاديث الرسول ﷺ التي قال الله في خطابه لأزواج النبي ﷺ ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾[3]

قال أبو حيّان:

« والحكمة هي السنة التي بها كمال الأحكام التي لم يتضمنها القرآن والمبينة ما فيه من الإجمال ، ودل هذا على أن السنة أنزلها الله على رسوله ﷺ كما قال تعالى ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾[4] لأن ما يحكم به من السنة ينزل من الله عليه »[5]

---

(١) [الاية: ٥ :والنجم] (٢) انظر «تفسير الرازي» (٧٤/٢) «اللباب» (٤٩٣/٢)

(٣) [الآية: ٣٤ :الأحزاب] (٤) [الآية: ٣ ، ٤ :والنجم]

(٥) «البحر المحيط» لأبي حيان (٢١٩/٢)

قال ابن القيم « والحكمة المقرونة بالكتاب ، **فهي السنة** ، وهو مذهب الشافعي وغيره من الأئمة ، وقيل هي القضاء بالوحي وتفسيرها بالسنة أعم وأشهر »

وقال « وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك: إنها معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل ، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والفقه في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان »[1]

قال د. سيد طنطاوي « ووضعها -الحكمة- بجانب الكتاب يرجّح أن المراد بها السنة النبوية التي تنتظم أقوال النبي ﷺ وأفعاله، إذ بالكتاب والسنة يعرف الناس أصلح الأعمال وأعدل الأحكام وأسمى الآداب وتفتح لهم طرق التفقه في أسرار الدين ومقاصده »[2]

○ نقل رشيد رضا عن إمامه تعريف الحكمة فقال

« وأما الحكمة فهي في كل شئ ؛ معرفة سرّه وفائدته ، **والمراد بها** أسرار الأحكام الدينية والشرائع ومقاصدها، وقد بيّن النبي ﷺ ذلك بسيرته في المسلمين ، وما فيها من الفقه في الدّين ، فإن أرادوا من السّنة هذا المعنى في تفسير الحكمة فهو مُسَلَّم ، وهو الذي كان يفهم من اسمها في الصدر الأول .... والذي يتفقه في الدّين ويفهم أسراره ومقاصده يصح أن يقال: إنه قد أوتي الحكمة التي قال الله فيها: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرا﴾[3].

○ ذكر أبو حيان أقوالا عديدة في معاني الحكمة ، ثم قال

---

(١) «بدائع التفسير» (٢/٧٧)

(٢) «التفسير الوسيط» (١/٢٧٤)

(٣) [الآية: ٢٦٩ :البقرة] ، «تفسير المنار» (١/٤٧٢-٤٧٣)

« فهذه تسع وعشرون مقالة لأهل العلم في تفسير الحكمة»[1]

○ **وقال ابن عطية ، وقد ذكر جملة من الأقوال في تفسير الحكمة**

« وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض ؛ **لأن** الحكمة مصدر من الإحكام ، وهو الإتقان في علم أو قول ، وكتاب الله حكمة وسنة نبية ﷺ حكمة ، وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس»[2].

أقول :

إن الحكمة لا تفسر ،وكل من فسرها ، فإنما فسرها ببعض ما تدل عليه من باب ذكر الجزء من العام أو من باب التمثيل

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال جميعًا وردُّها إلى قول واحد

قال أبو حيان:

« وهذه الأقوال في الحكمة كلها متقاربة ويجمع هذه الأقوال قولان **أحدهما** القرآن الكريم- فهو ينبوع الحكمة - **والآخر** السنة ؛ لأنها المبينة لما انبهم من الكتاب، والمظهرة لوجوه الأحكام... وتثبت أحكاما لم يتضمنها الكتاب»[3]

○ والسنة وأحاديث الرسول ﷺ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالكتاب، **فهي** المفسّرة والمبينة والموضحة للكتاب فلا يمكن الفصل بينهما بحال ، بل بالغ بعضهم وقال: إن السنة قاضية على الكتاب كما سنبينه.

قال الأوزاعي « الكتاب أحوج إلىالسنة من السنة إلى الكتاب ».

وقال ابن عبد البرّ يريد أنها تقضي عليه وتبين المراد منه.

---

(١) «البحر المحيط» لأبي حيان (٣٣٤/٢) «روح المعاني» الألوسي (٦٦/٣)

(٢) «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣٦٤/١)

(٣) «البحر المحيط» (٥٦٣/١ ، ٥٦٤)

وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن الحديث الذي روي: أن السنة قاضية على الكتاب فقال: «ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكني أقول: إن السنة تفسر الكتاب وتبينه»[1]

قال الشاطبي

« إن قضاء السنة على الكتاب ليس بمعنى تقديمها عليه واطراح الكتاب، بل إنّ ذلك المعتبَر في السنة هو المراد في الكتاب ، فكانت السنة بمنزلة التفسير والشرح لمعانى أحكام الكتاب، ودل على ذلك قوله تعالى :﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾[2]

o فإذا حصل بيان قوله تعالى ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴾[3] بأن القطع من الكوع وأن المسروق نصاب فأكثر من حرز مثله فذلك هو المعنى المراد من الآية، لا أن نقول إن السنة أثبتت هذه الأحكام دون الكتاب كما إذا بيّن لنا مالك أو غيره من المفسرين معنى آية أو حديث فعملنا بمقتضاه ، فلا يصح لنا أن نقول: إنّا عملنا بقول المفسر الفلاني دون أن نقول عملنا بقول الله أو قول رسوله ﷺ ، وهكذا سائر ما بينته السنة من كتاب الله تعالى ، فمعنى كون السنة قاضية على الكتاب أنها مبينة له »[4]

o وإذا كانت السنة بياناً للكتاب في أحد قسميها فإن القسم الآخر زيادة على حكم الكتاب

قال الشاطبي:

---

(١) «الموافقات» للشاطبي (٤/٢٦) «تفسير القاسمي» (١/١١٧)

(٢) من [الآية: ٤٤ :النحل]

(٣) [الآية: ٣٨ :المائدة]

(٤) «الموافقات» (٤/١٠) «تفسير القاسمي» (١/١٠٨)

إن الاستقراء دلّ على أن في السنة أشياء لا تحصى كثرة لم ينص عليها القرآن كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، وتحريم الحمر الأهلية، وكل ذى ناب من السباع والعقل ونكاح الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافِر»[١]

ثم قال « وهذا دليل على أن في السنة ما ليس في الكتاب »[٢] ولا تجد في السنة أمرًا إلا والقرآن قد دلّ على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية[٣] فالاقتصار على الكتاب رأي قوم لاخلاق لهم خارجين عن السنة [٤]

○ **ومن أحسن ما قيل في الترابط بين الكتاب والسنة** ما ذكره الشيخ خالد العك فقال: إن تحديد العلاقة بين القرآن والسنة على ثلاثة أوجه

أحدها أن تكون موافقة له من كل وجه ، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها

ثانيها أن تكون بيانًا لما أريد بالقرآن وتفسيرًا له

ثالثها أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمة لحكم سكت القرآن عن تحريمه ، وقد ورد في السنة أحاديث تدل على أن السنة قد تأتي بما ليس في القرآن كحديث :«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[٥]

إلا أن الإمام الشاطبي يرى في هذا القسم الأخير أن له أصلاً في القرآن فقال :« فلا تجد في السنة أمرًا إلا والقرآن قد دَلّ على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية»[٦]

---

(١) «الموافقات» (١٦/٤) «تفسير القاسمي» (١١٠/١)
(٢) «الموافقات» (١٦/٤)
(٣) «الموافقات» (١٢/٤)
(٤) «الموافقات» (١٧/٤)
(٥) «أصول التفسير وقواعده» (١٢٨،١٣٠)
(٦) «الموافقات» للشاطبى (١٢/٤) «تفسير القاسمي» (١٠٨/١)

○ وعلى هذا الربط الذى لا يقبل الانفصال بين الكتاب والسنة اشتركا في التعليم فقال تعالى :﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ فيجب أن يكون الأصل الرابع معرفة أحاديث الرسول ﷺ ، وأنه يجب الأخذ بما في السنة من الأحكام كما يؤخذ بما في الكتاب

إن السنة – وهي الحكمة في لسان المتقدمين – ولدت مع القرآن الكريم، فلم يكن الصحابة رضي الله عنهم يتلقون القرآن بمعزل عن سنة النبي ﷺ ، بل لقد جاء النص الصريح بربط حكمة إنزال القرآن عليه بمهمة بيانه له ، وفي ذلك يقول جل وعلا : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون ﴾[1]

تاسعا : الأصل الخامس من أصول التربية والتعليم التزكية :

نصّ القرآن على هذا الأصل في قوله تعالى :﴿ويتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾ كما تقدم ، فتضمنت هذه الأصول التربوية تلاوة للآيات وتعليم الكتاب وتعليما للحكمة ، **وتزكية بمعنى** التطهير والتنقية من السوء والقبائح والمنكرات ، **فهي ثمرة** عملية لتطبيق الأصول التربوية الأولى ، **فهي ثمرة لتلاوة القرآن** ، **وثمرة** لفقه القرآن ، **وثمرة** لتلاوة القرآن ، **وثمرة لفقه القرآن والتفقه فيه، وثمرة** لفهم السنة ، **وهي ثمرة** للعمل بما علم من التلاوة والكتاب والسنة

التزكية تطهير الإنسان حسيًا ومعنويًا ظاهراً وباطناً من دنس الذنوب والمعاصي، وفيها معنى النمو والزيادة والتعهد بالرعاية نحو الكمال[2].

وتأمل هذا التركيب العجيب ، وهذا الأسلوب الفريد ؛ حيث أفرد لتلاوة

---

(١) من [الآية: ٦٤ :النحل]

(٢) انظر «مفردات الراغب» (٢٣٨)

الآيات فعلاً، وهو ﴿يتلوا﴾ ، ثم جاء بفعل آخر لتعليم الكتاب وهو ﴿ويعلمهم﴾ ليدل بذلك على المباينة بين التلاوة وتعليم الكتاب ، وأشرك ﴿الحكمة﴾ في نسق التعليم؛ **لأنها** مربوطة بتعليم الكتاب ، وحذف كل ذلك من التزكية ، **ولم يقل** :«ويعلمهم التزكية» كالأصول السابقة ؛ **لأن** التزكية لا تعلم ولا تحفظ ولا تتلى كما هو الشأن في مناهجنا الحالية ، وإنما هي إحساس فانفعال فسلوك وعمل بعد ذلك ، وإنما هي ثمرة من ثمرات التلاوة وتعليم الكتاب وتعليم الحكمة ، فإذا لم تثمر هذه الأصول التربوية التزكية فهي كالعدم ، فهي محض سلوك وعمل يظهر بعد التلاوة وبعد فقه التلاوة وبعد فقه السنة

نحن الآن نقوم بعملنا هذا في المؤسسات التربوية بتعليم التزكية والأخلاق وغيرها كالصناعة والحرفة التي يحتاجها الإنسان ، ويقوم بها لتدر عليه ما ينفعه، وهذه مصيبة هذا العصر

قال تعالى :﴿ قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ﴾[1]

وقال :﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾[2]

فقد فاز بكل مرغوب وظفر بكل محبوب من زكّى نفسه وهذّبها ونمّاها بالعلم، وزكاها بالتلاوة وفقه القرآن وعلومه وعمل بها، ومادة التفعل للتكلف وبذل الجهد أي بذل جهده في تطهير نفسه بالأعمال الصالحة[3].

قال البقاعي

«أنبأهم الله بأنّ هذا التنزيل لأنفسهم بمنزلة الغذاء للأبدان فكما تتنامى

---

(١) [الآية: ١٤،١٥ :الأعلى]

(٢) [الآية: ٩،١٠ :والشمس]

(٣) انظر «التحرير والتنوير» (٢٨٨/٣٠)

أجسادهم بماء المزن وما منه فكذلك تتنامى أنفسهم بأحكام الكتاب وتلاوة الآيات وذلك زكاؤها ونماؤها ﷺ[1]

وهكذا كان ﷺ يزكي أصحابه فيتلقون منه خمس آيات أو عشر آيات، ويتلقون منه صفة أدائها وقراءتها ويتعلمون ما فيها من العلم والعمل به

○ **وفي هذا المعنى ؛ يقول أبو عبد الرحمن السلمي** أحد أكابر التابعين الذين أخذوا القرآن ومعانيه عن مثل عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وتلك الطبقة: « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل فتعلمنا القرآن والعمل »[2].

○ وروى أبو جعفر الطبري عن عبد الله بن مسعود قال : « كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن »[3].

• **العمل بالقرآن** هو الذي يحقق التزكية والبركة والنماء ، **قال تعالى** :﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه ﴾[4]. نورُ القرآنِ وهداهُ تظهر على صاحب القرآن واضحةً جلية

• **روى ابن أبي حاتم ، عن الحسن البصرى قال** « والله ما تدبره من حفظ حروفه ، وأضاع حدوده حتى إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن كله ولا يرى للقرآن عليه في خلق ولاعمل »[5].

◉ وقد أثر عن السلف في معنى قوله تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب

---

(١) «نظم الدرر» (١١٠/٤) ، (٢٢٣/٥)

(٢) «المصنف» لابن أبي شيبيه (٤١٦/١٠) ، «الصواعق المرسلة» (٤٤٣)

(٣) «جامع البيان» للطبرى (٣٥/١)

(٤) من [الآية: ٥٥ :الأنعام]

(٥) انظر «تفسير ابن كثير» (٣٦/٤)

يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ﴾[1] يتبعون القرآن ويعملون به

وقد فسر عبد الله بن مسعود هذه الآية تفسيرًا جامعًا فقال «والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأول منه شيئًا على غير تأويله »[2].

وقد توسع في شرح الآية وكلام ابن مسعود الشيخ محمد صالح وفرّع عليه فوائد ، فقال : « يتلونه أي يتبعونه ، والتلاوة يراد بها ثلاثة أمور : التلاوة اللفظية ، والتلاوة المعنوية والتلاوة العملية

أما التلاوة اللفظية فأن يقيم الإنسان حروف الكتاب الذي أنزل

وأما التلاوة المعنوية : فأن يقيم معناه ؛ وذلك بأن يفسره بما أراده الله لا يهوى نفسه فلا يحرف الكلم عن مواضعه

وأما التلاوة العملية : فأن يؤمن بأخباره ،ويقوم بأوامره ويتجنب نواهيه ، هؤلاء هم الذين يؤمنون به

○ **وأما من لم يتله حق تلاوته** ؛ إما في اللفظ أو في المعنى أو في العمل، **فإنه** لم يؤمن به حق الإيمان، لأنه لم يتله حق تلاوته ، ومن لم يقم بالعمل الصالح الذي دلّ عليه الكتاب وأمر به وحث عليه ورغب فيه فإنه لم يتله حق تلاوته[3].

ولذلك لما سئلت عائشة – رضي الله عنها – عن خلق رسول الله ﷺ قالت: « كان خلقه القرآن »[4]

قال الحافظ ابن كثير مبيناً هذا الخلق

---

(١) من [الآية: ١٢١ :البقرة]

(٢) «الجامع للطبري» (٥٦٧/١) «تفسير ابن كثير» (١٧٥/١)

(٣) «أحكام من القرآن» (٤٣٦) بتصرف يسير .

(٤) الحديث رواه مسلم .

« ومعنى هذا أنه عليه السلام صار امتثال القرآن أمراً ونهيًا سجية لَهُ وخلقًا تطبّعه وترك طبعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه »[١]

أقول وأردد : ﴿ صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة﴾ ، فتلاوة القرآن وفهم معانيه والتفقه فيه ، يصبغ شخصية الإنسان ويظهر ذلك في سلوكه وعمله وفي أخلاقه كظهور أثر الصبغ على المصبوغ

ولما بيَّن الله هذه الأصول التربوية ورسمها في كتابه ، وبين أن من صفات هذا المعلم الذى بعث في الأميين أنه يزكيهم ويطهرهم من جميع الذنوب والآثام عقّب على ذلك بمثال محسوس أن من يحفظ هذا المنهج ولا يعمل به، فلا يحصل له التطهير والتزكية وضرب له مثلاً منفرًا فقال :﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾[٢]

فكل من علم ولم يعمل بعلمه،فهذا مثله،وهذه صفته وهذه حاله،وبئس المثل.

قال الخازن « وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ، ولم يعمل بما فيه، وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه »[٣]

قال الفخر الرازي : « قال أهل المعاني هذا المثل مثل من لم يفهم معاني القرآن، ولم يعمل به ، وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه »[٤].

وما ذكره الشيخان عن العلماء هو عين الحقيقة ، وقد صرّح القرآن الكريم

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٤٢٥) «الجامع للقرطبى» (٩/٢١٠)
(٢) [الآية: ٥ :الجمعة]
(٣) «لباب التأويل» (٤/٢٩٠)
(٤) «تفسير الرازى» (١٥/٦)

بها في قوله تعالى ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكرًا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرًا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً ﴾[١].

○ **ويقول القرطبي** في معنى الإعراض نقلاً عن مقاتل بن سليمان

الإعراض عن القرآن من وجهين

أحدهما الجحود والإنكار ، **والوجه الآخر** ترك العمل بما فيه »[٢]

قال القرطبي وابن عادل الحنبلى : « وفي هذه الآية تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ، ويعلم ما فيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذمّ ما لحق هؤلاء »[٣]

قال تعالى :﴿ فمالهم عن التّذكرة معرضين كأنّهم حمر مستنفرةٌ فرّت من قسورة ﴾[٤]

○ وكل من رغب عن هذه الأصول التربوية التي رسمها القرآن الكريم كما بيناها يعد سفيهًا ؛ لأن الله عزّ وجلّ عقب على ذكرها بقوله ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ ، **يقال** رغب عن كذا إذا كرهه وانصرفت عنه نفسه، والملة في الأصل الطريقة ، وغلب إطلاقها على أصول الدين ، ولا فرق عندنا في هذا المنهج بين أصول الدين وأصول التربية والتعليم ، ومعنى سفه نفسه **أي** امتهن نفسه واستخف بها وظلمها[٥].

○ **قال الألوسي** «إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن ملته، وهي الحق الواضح غاية الوضوح : **أي** : لا يرغب عن ذلك أحد إلا من

---

(١) [الآية: ٩٩،١٠٠ :طه]

(٢) «الجامع للقرطبى» (٨٠/١٩)

(٣) «الجامع للقرطبى» (٦٢/١٨) «اللباب» (٧٤/١٩)

(٤) [الآيات: ٤٩-٥٠ :المدثر]

(٥) انظر «التفسير الوسيط» (٢٦٧/١)

جعل نفسه مهانة ذليلة ، وأصل السفه : الخفة ، أي : جعل نفسه مهانة لخفة عقله

وعدم تفكره»[1].

• هذا هو المنهج التربوي لأصول التعليم كما رسمها القرآن الكريم ، وبينته السنة النبوية لبناء الإنسان المستقيم ذي الشخصية المتزنة المعتدلة

وكل منهج مخالف لما سطره القرآن الكريم يُعدّ انحرافًا عن الجادّة يؤدي إلى شذوذ في السلوك

فليزن طلاب علم هذا الزمن تعليمهم بهذا المنهج الربّانى الذى رسمه القرآن الكريم ولينظروا أين مكانهم من فهم القرآن وما حظهم من هدايته؟! كيف تسعى لطلب العلوم والقرآن مصدرها ؟!

وها هو رسول الله ﷺ يسأله بعض الصحابة عن أمور فيردهم ويقصرهم على القرآن وحده ويمنعهم عن التوجه لغير القرآن

أخرج الحاكم ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانا ، فقالوا لو قصصت علينا » فأنزل الله : ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ ، فتلاه عليهم زمانًا فقالوا « لوحدثتنا » ، فأنزل الله :﴿الله نزل أحسن الحديث..﴾ ، فتلاه عليهم زمانًا ، فقالوا « لو ذكرتنا » ، فأنزل الله :﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾[2].

ويروى مثله عن عبد الله بن مسعود ، وفيه أن أصحاب رسول الله ﷺ ملّوا ملة فقالوا حدثنا »

(١) «روح المعانى» (٦٠٩/١)

(٢) أخرجه الحاكم (٣٤٥/٢) وصححه ووافقه الذهبى ، القرطبي (١٠١/٩) ، (٢١٨/١٦) «فتح القدير» (٩٠٦/٣) «روح المعاني» (٢٥٥/٨)

قال ابن كثير بعد أن أورد هذا الحديث: « فأرادوا الحديث ؛ فدلّهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص ؛ فدلهم على أحسن القصص، ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتمله على مدح القرآن أنه كاف عن كل ما سواه من الكتُب»[1]

ثم ساق أمثله ونماذج طويلة لبعض الصحابة نسخوا بعض الكتب، فرآها رسول الله ﷺ فغضب حتى احمرّت وجنتاه ثم نادى بالصلاة جامعة ، وحذّر وبالغ في الإنذار من ذلك ومحاها حرفًا حرفًا[2]

فيجب أن نعزل من مكتباتنا الغريب والدّخيل على ثقافتنا وأصولنا الحضارية، ونرشد الطلبة إلى كتب معينة، ولا ندع الطالب يقرأ كل ما هب ودب

عاشراً : بيان بأثر هذه الأصول التربوية وثمراتها :

◎ ولما كان التأثير يتم بمقدار عظمة المؤثر ظهر تأثير هذه الأصول التربوية والتفقه فيها في بناء شخصية الإنسان قويًا وفعالاً وكاملاً يعصب علينا حصر جميع جوانب التأثير في بناء شخصية الإنسان واتزانها واعتدالها

ولسوف - بإذن الله - أقتصر على بعض الجوانب فقط؛ **لأن** مصدر هذه الأصول هو القرآن الكريم ، وموضوع القرآن الكريم هو الإنسان نفسه ، ولقد استلهمت هذا المعنى من قوله تعالى ﴿ الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علّمَهُ البيان ﴾[3] فقدّم تعليم القرآن الإنسان على خلقه ، وهو متأخر عنه في الوجود ؛ **لأن** تعليم القرآن هو السبب في إيجاده ، فبتعليم القرآن يتحقق في هذا الكائن معنى الإنسان، كأنه إنما يكون خالقًا للإنسان إذا علّمه القرآن[4]

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٨٤/٢) (٢) «تفسير ابن كثير» (٤٨٤/٢ - ٤٨٥)

(٣) [الآية: ١-٤ :الرحمن]

(٤) انظر «تفسير الرازى» (٧٤/١١) ، «فتح البيان» (٣١٤/١٣) «في الظلال» (٣٤٤٦/٦) .

وهو كذلك كما قدمنا في قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾(١) دلت الآية على أن الاستجابة للقرآن حياة أخرى من نوع آخر ، ولا يمكن حمل الحياة ها هنا على نفس الحياة ؛ لأن إحياء الحي محال فوجب حمله على حياة أخرى من نوع آخر، الاستجابة لأوامر القرآن واجتناب نواهيه ، والعمل به هو الحياة الحقيقية

o **ولسوف** -بإذن الله- أسوق أمثلة ونماذج حيّة أبرهن **فيها** على هذه الحياة في عرف القرآن وأثره في الإنسان.

أولاً : طريقة القرآن في الخطاب لتربية الاخوة :

أقول – والله المعين – : إن الاشتغال بفهم القرآن وتفسيره والتفقه فيه يرقق إحساس الإنسان ويرهفه ، ويلطف حدته ويقوي شعوره وينمّي فيه حب الآخرين بحيث يجعله يتألم لألمهم ويفرح لفرحهم

ومن مبتكرات القرآن في طريقة التعبير عن هذا الإحساس والترجمة العملية لهذا الشعور أن جعل القرآن قتل الرجل لغيره قتلا لنفسه ، وجعل القرآن إخراج الرجل من داره إخراجًا لنفسه ، وجعل القرآن ظن السوء بالغير ظنًا بنفسه ، وجعل القرآن السّلام على الغير سلاماً على نفسه ، وجعل القرآن لمز الغير لمزًا لنفسه، وجعل المحافظة على الغير والرعاية له محافظة ورعاية لنفسه ، وكلّ ذلك أرادهُ القرآن في تعبيراته ، وأهّم مقاصده التي غابت عن أذهان الناس

• **وبعد هذا الإجمال** ؛ نأتى للتطبيق التفصيلى العملي ، ونتتبع هذه الآيات البينات التي توضح هذا المقصود

قال تعالى في سياق أخبار بنى إسرائيل

---

(١) من [الآية: ٢٤ :الأنفال]

﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ﴾[1]

جعل القرآن دم كل فرد من أفرادهم كأنَّه دم الآخر عينه حتى إذا سفكه كان كأنه بخع نفسه وانتحر ذاته ، فعبّر بالنفس وأراد الآخرين

قال القرطبي : « ولما كانت ملتهم واحدة وأمرهم واحد وكانوا كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم بعضًا ، وإخراج بعضهم بعضًا قتلاً لأنفسهم ونفيًا لها»[2].

قال الشيخ بن عاشور « ليس المراد النهي عن أن يسفك الإنسان دم نفسه، أو يخرج نفسه من داره ؛ لأن مثل هذا مما يزع المرء عنه وازعه الطبيعي وإنّما المراد أن لا يسفك أحد دم غيره ولا يخرج غيره من داره »[3].

○ **ومثل هذا السياق قوله تعالى** ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾[4] ، **ومعناه** فليقتل بعضكم بعضًا بأن يقتل من لم يعبد العجل عابديه ، فإن قتل المرء لأخيه كقتله لنفسه

قال القرطبي

« وأجمعوا على أنه لم يؤمر كل أحد من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده » .

ثم نقل عن الزهرى قوله « أن يقتل من لم يعبد العجل من عبد العجل »[5].

---

(١) من [الآية: ٨٤ ،٨٥ :البقرة]
(٢) «الجامع للقرطبى» (١٩/٢)
(٣) «التحرير والتنوير» (٥٨٥/١)
(٤) من [الآية: ٥٤ :البقرة]
(٥) «الجامع للقرطبى» (٣٧٦/١)

وقال الله في سياق هذه الأمة ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾[1] ، أي لا يقتل بعضكم بعضًا، فجعل القرآن قتل الرجل لغيره قتلاً لنفسه

قال القرطبي : « أجمع أهل التأويل على أن المراد بهذه الآية النهي أن يقتل بعض الناس بعضًا ثم لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصد منه »[2]

قال الحافظ ابن كثير « وهو الأشبه بالصواب »[3]

وقال الزمخشري «شبه الغير بالنفس لشدة اتصال الغير بالنفس في الأصل أو الدين، فإذا قتل المتصل به نسبًا أو دينًا فكأنما قتل نفسه »[4]

وقال ابن كثير « إن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة »[5]

وقد بيّن القرآن أن من قتل نفساً بغير حق ، فكأنما قتل الناس جميعًا ، فقال : ﴿ كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا ﴾[6]

○ ومن تعبيرات القرآن بالنفس وإرادة الأخ في الدين قوله تعالى
﴿ يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾[7]

نقل الفخر الرازي عن عبد الله بن المبارك أنه قال «هذه أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه سبحانه قال ﴿عليكم أنفسكم ﴾ يعني عليكم أهل دينكم ، ولا يضركم من ضل من الكفار بأن

---

(١) من [الآية: ٢٩ :النساء]
(٢) «الجامع للقرطبى» (١٣٦/٣)
(٣) «تفسير ابن كثير» (٥٣٤/١)
(٤) نقله صاحب التحرير والتنوير (٣٧٦/١٨)
(٥) «تفسير ابن كثير» (١٢٩/١)
(٦) من [الآية: ٣٢ :المائدة]
(٧) [الآية: ١٠٥ :المائدة]

يعظ بعضكم بعضًا ، ويرغب بعضكم بعضًا في الخيرات، وينفره عن القبائح والسيئات »[1] ؛ لأن المؤمنين إخوة في الدين

○ **ومن تعبيرات القرآن بالنفس وإرادة الغير ، قال تعالى** ﴿ فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾[2]

والمعنى فليسلم بعضكم على بعض ، وهم أهل البيوت التى يدخلونها، لأنهم بمنزلة أنفسهم في شدة المحبة والمودة والألفة ولأنهم منكم في الدين فكأنّكم حين تسلمون عليهم تسلمون على أنفسكم ، **وقد أنكر الشيخ ابن عاشور على من فهم من الآية أن الداخل يسلم علىنفسه** ، وقال « ولقد عكف قوم على مظاهر هذا اللفظ ، وأهملوا دقيقته فظنوا أن الدّاخل يسلم على نفسه إذا لم يجد أحدًا وهذا بعيد من أغراض التكليف والآداب »[3]

أقول وهو المأثور عن سعيد بن جبير والحسن البصري وقتادة والزهري حيث قالوا « فليسلم بعضكم على بعض »[4]

○ **ومن تعبيرات القرآن وإرادة الأخ في الدين قوله تعالى** ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾[5] ، والإنسان لا يلمز ولا يعيب نفسه ، وإنما يلمز غيره ، إشارة إلى أن من عاب أخاه المسلم ، فكأنما عاب نفسه ، فنزل البعض الملموز منزلة نفس الإنسان لتقرير معنى الإحساس بالأخوة وتقوية الشعور بها.

○ **ومن تعبيرات القرآن عن الغير بالنفس وإرادة الغير** ؛ لأن الإنسان أخو الإنسان قوله تعالى ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسبهم خيرا﴾[6]

---

(١) «تفسير الرازي» (١١٨/٦)

(٢) من [الآية: ٦١ :النور]

(٣) «التحرير والتنوير» (٣٧٦/١٨)

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣٣٦/٣)

(٥) من [الآية: ١١ :الحجرات]

(٦) [الآية: ١٢ :النور]

المراد بأنفسهم هنا : إخوانهم في الدين والعقيدة ، **ومعناها** : فهلا وقت أن سمعتم حديث الإفك هذا ظننتم بأنفسكم ، **أي** بإخوانكم ظنًا حسنا جميلاً ، إذ لا يظن المرء بنفسه السوء ، وفي هذا التعبير عن إخوانهم وأخواتهم في العقيدة بأنفسهم أسمى ألوان الدعوة إلى غرس روح المودة والمحبة والإخاء والإحساس الصادق ، حتى لكأن الذي يظن السوء بغيره إنما يظنه بنفسه[1]

قال الفخر الرازي « فجعل الله المؤمنين كالنفس الواحدة فيما يجرى عليها من الأمور، فإذا جرى على أحدهم مكروه، فكأنه جرىعلى جميعهم »[2]

○ وقد خرج علماء اللغة والقراءات قراءة حمزة والكسائى على هذا النحو ، **أي** من باب التعبير بالنفس وإرادة الغير ، فقد قرأ حمزة والكسائى قوله تعالى ﴿ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم﴾[3] بحذف الألف في الألفاظ الثلاثة من باب «قتل» الثلاثي

○ **وقد أنكر الأعمش معنى هذه القراءة وتعجب** ؛ كيف يقتل من صار مقتولاً ؟!، فتوجّه إلى حمزه معترضًا عليه ، وقال له أرأيت قراءتك ، إذا صار الرجل مقتولاً ، فبعد ذلك كيف يصير قاتلاً لغيره ؟!

فأجابه حمزة وقال إن العرب إذا قتل منهم رجلٌ ، قالوا قتلنا وإذا ضرب منهم الرجل ، قالوا : ضربنا[4].

قال رشيد رضا « قراءة حمزة والكسائي من قتل الثلاثي ويُخَرَّجُ على أن قتل بعض الأمة كقتل «جميعًا» ، لتكافلها ، **والمراد** ولا تقتلوهم عند

---

(١) انظر «الجامع للقرطبي» (١٨٦/٦)

(٢) «تفسير الرازى» (١٧٨/١٢)

(٣) من [الآية: ١٩١ :البقرة] ، «الكشف لمكى» (٢٨٠/١)

(٤) «روح المعانى» (١١٤/٢) «تفسير الرازى» (١٤٣/٣) «اللباب» (٣٤٤/٣) .

المسجد الحرام حتى يقتلوا أحداً منكم ، فإن قتلوا أحدًا منكم فاقتلوهم وهو أسلوب عربي بليغ»[1]

ثم قال : تقول العرب « قتلنا ورب الكعبة » ، إذا ظهرت أمارات القتل، أو إذا قتل بعض أفراد قومه وعشيرته »[2]

○ **فهذا الأسلوب** القرآني ، وهذا الخطاب الرّباني يؤكد معنى وحدة الأمة ويحدث في النفس أثرًا بالغًا يبعثها على الامتثال ، فالإنسان الذى يربّى على هذه المعاني، وهذه الدقائق القرآنية ، لاشك أنها تؤثر فيه ، وتغرس فيه هذا الإحساس، وهذا الشعور.

ومن تدبر هذا الأسلوب القرآني في التعبير عن الغير بالنّفس ؛ علم أنه لا قوام لهذه الأمة إلا بمثل هذه التربية القرآنية ، وهذا الشعور وهذا الإحساس ،وشعور كل فرد من أفرادها بأن نفسه نَفَسُ الآخرين ، ودمَه دم الآخرين وظنَّ السوء بهم ظنٌّ بنفسه، والسلام عليهم سلام على نفسه ، وعيبهم عيب لنفسه ، والتخلى عنهم وعن نصرتهم تخل عن نفسه

فلا فرق في المحافظة على الروح التي تجول في بدنه ، والدم الذى يجري في عروقه ، وبين الأرواح والدماء التي يحيا بها إخوانه ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء﴾[3] ، **وقال** ﷺ « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[4]

---

(١) «تفسير المنار» (٢/٢١١) ، (١١/٤٩)

(٢) «تفسير المنار» (٤/٣٠٨) «البحر المحيط» (٢/٧٤)

(٣) من [الآية: ١ :النساء]

(٤) الحديث رواه مسلم ، «رياض الصالحين» (٣٣٣)

وكل هذه المعاني ؛ وإن كانت كامنة في القرآن الكريم، فإن تفسير القرآن والتفقه فيه دون غيره يكشفها ويجليها ، ويعمّق أثرها كما قدمنا في الأصل الثالث في قوله تعالى ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾

ثانياً : حصول الطمأنينة والسكينة :

إن الاشتغال بفهم القرآن والتفقه فيه يكون سببًا للطمأنينة والسكينة ، ويحصل لصاحبه عز الدنيا وسعادة الآخرة كما أخبر بذلك المعلم الأول - ﷺ :«وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده »[1]

○ **وقد دلت التجارب العملية على هذه الطمأنينه والسكينة** ، فقد وجد العلماء ما أخبر به المصطفى ﷺ ، فهذا الفخر الرازى ينقل لنا تجاربه مع كتاب الله فيقول «وأنا نقلت أنواعًا من العلوم النقلية والعقليه فلم يحصل لى بسبب شيء من العلوم من أنواع السعادات في الدين والدنيا مثل ما حصل لى بسبب خدمة هذا العلم »[2]

يعنى : تفسير القرآن والتفقه فيه ، وقد نقل هذا النص الشيخ رشيد رضا ثم قال مبينًا كلامه « **أي** علم القرآن بتفسيره فليعتبر بهذا من يضيعون جل أوقاتهم في طلب العلوم الدينية بعلوم الكلام وغيرها ، ويرجعوا إلى كتاب الله ويطلبون السعادة من فيضه دون غيره ، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى تفسيره »[3] ، ونقله الشيخ الطاهر بن عاشور في تحريره ، وقال «ومصداق

(١) رواه مسلم - «رياض الصالحين» (٣٣٣)

(٢) «تفسير الرازي» (٨٥/٧)

(٣) «تفسير المنار» (٦٢٠/٧)

ذلك في كتاب الله :﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه ﴾[1]

قال الشيخ الطاهر بن عاشور

« **والقرآن مبارك** ؛ لأنه يدل على الخير العظيم، فالبركة كائنة به ، فكأن البركة جعلت في ألفاظه ، ولأن الله قد أودع فيه بركة لقارئه المشتغل به بركة في الدنيا وفي الآخرة ، ولأنه مشتمل على ما في العمل به كمال النفس وطهارتها بالمعارف النظرية ثم العملية ، فكانت البركة ملازمة لقراءته وفهمه ، **قال فخر الدين** : قد جرت سنة الله تعالى بأن الباحث عنه – **أي** : عن هذا الكتاب – المتمسك به يحصل له عزّ الدنيا وسعادة الآخرة »[2]

○ **وقد أدرك هذه السعادة الغامرة القرطبي** ؛ فعزم واستفرغ قوته ورأى أن يشتغل بالتفسير والتفقه في القرآن مدى العمر – رحمه الله – فقال

فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذى استقل بالسنة والفرض ونزل به أمين السماء على أمين الأرض رأيت أن اشتغل به مدى عمرى وأستفرغ فيه قوتي »[3]

○ **وصرّح ابن تيمية** ؛ الذى ترك تراثا من العلوم والمعارف بندمه على عدم اشتغاله بمعاني القرآن في رسالة وجهها إلى تلميذه المغربي ابن رشيق فقال

« قد فتح الله عليّ في السجن في هذه المرّة من معاني القرآن ، ومن أصول العلم بأشياء كان أكثر العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن »[4]

○ **وتلميذه ابن القيم** ؛ يتمنى ويتطلع ويدعو الله أن يعينه على كتابة تعليق

---

(١) «التحرير والتنوير» (٣٧٠/٧) و[الآية: ٥٥ :الأنعام] .

(٢) «التحرير والتنوير» (٣٧٠/٧) .

(٣) «الجامع للقرطبي (٢٩/١).

(٤) «دقائق التفسير» (١/١٠،١٢) .

-في التفسير»[١]

○ **وها هو سفيان الثورى** (ت: 161 /هـ) قبلهما بقرون يتحسر على عدم اقتصاره على القرآن الكريم فقال « يا ليتني اقتصرت على القرآن »[٢]

ثالثاً : الجهاد بالقرآن الكريم :

ونجد الترجمة العملية للأئمة والمصلحين ورجال الدعوة والإرشاد فقد اقتصروا على معاني القرآن وتفسيره في دعوتهم الشاملة، ابتداء بتحقيق التوحيد وحقوقه إلى محاربة الاستعمار ، فأثمرت دعوتهم ونالت قبولاً ، وأقبل عليها الناس من جميع الأصناف والطبقات وأحدثت دعوتهم تغييرًا إصلاحيًا في العقيدة والسلوك وانتشرت في الشرق والغرب

○ وإذا أردنا أن نتجول مع هذا الأثر الحميد ، فسنجد من بين هؤلاء المبرّزين

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى (ت: 1376 /هـ) قد اعتمد في دعوته في نشر التوحيد والإصلاح في ربوع نجد على تفسير القرآن الكريم فكان ذا عناية فائقة بالتفسير وفنونه ، وبرع فيه ، فألف ثلاثة كتب في التفسير وحده «تيسير الكلام المنان في تفسير كلام الرحمن» ، «وتيسير اللطيف المنان في خلاصة القرآن» ، «والقواعد الحسان لتفسير القرآن»[٣]

○ **وإذا انتقلنا غربا إلى مصر** : نجد الإمام محمد عبده يعتمد في دروسه على التفسير ، فقد ألحّ عليه تلميذه رشيد رضا أن يلقي دروسًا في التفسير ، ويعلل ذلك بقوله : « إن الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام

---

(١) «بدائع التفسير» (١/١٦)

(٢) «التفسير اللغوى» د. مساعد (٢٦٨)

(٣) انظر مقدمة «تفسير السعدى» (ص: ٤٠)

المقروء، ثم واصل مسيرة التفسير بعده رشيد رضا إلا أن أجله حال دون إكمال التفسير رحم الله الجميع

○ **وإذا انتقلنا غربًا إلى تونس** : نجد الإمام الطاهر بن عاشور يتأثر بمدرسة رشيد رضا في التفسير وألف تفسيرًا كاملًا سماه **«التحرير والتنوير»** ، فحرر الناس من الجهل والظلمات ، ونوّر به البلاد التونسية(١)

○ **وإذا انتقلنا قليلاً إلى الغرب في الجزائر** : نجد الترجمة العملية المتمثلة في الإمام عبد الحميد بن باديس ، فقد اقتصر على التفسير ومعاني القرآن في دعوته الإصلاحية الشاملة في الجزائر ابتداء بتحقيق التوحيد وحقوقه إلى محاربة الشرك والاستعمار ، فقد عكف على تفسير القرآن إلى أن ختمه في ثلاث وعشرين سنة على مدة التنزيل ، ولم يختم التفسير رواية ودراية في الجزائر غيره منذ أن ختمه أبو عبد الله الشريف التلمساني في المائة الثامنة فتعلم الناس منه كل شئ؛ **لأن** القرآن تبيانٌ لكل شيء(٢)

وقال بعض محبيه ورفقاء دربه في الدعوة ، الشيخ البشير الإبراهيمي «وضاع على الأمة كنز علم لا يقوّم بمال ، ولا يعوّض بحال ، ومات ، فمات علم التفسير، وماتت طريقة ابن باديس في التفسير » (٣).

○ **وإذا عرَجا جنوباً إلى بلاد شنقيط** : نجد خاتمة المحققين وإمامهم محمد الأمين الشنقيطى يفسر القرآن بالقرآن ويسميه: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»(٤).

• **هؤلاء الائمة وغيرهم مما لم اذكرهم** ؛ كانوا مجاهدين بالقرآن

---

(١) انظر مقدمة «التحرير والتنوير»

(٢) «آثار عبد الحميد» (٧٥/٤)

(٣) مقدمة «تفسير ابن باديس» (٣٤)

(٤) انظر «أضواء البيان المقدمة»

بتفسيره وبيانه والتفقه فيه ودعوة الناس إليه ، وقد سمّى القرآن عملهم ذاك بالجهاد الكبير ، فقال جل وعلا : ﴿وجاهدهم به جهادًا كبيرًا ﴾[1] أي : بالقرآن كما فسره به ابن عباس[2] ، وفي هذا منقبة عظيمة لمن يدعو إلى الله بالقرآن وتفسيره وبيانه للناس فهو مجاهد[3] اقتداء بالمصطفى ﷺ ، حيث أمره الله أن ينذر قومه بالقرآن ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾[4] وقال ﴿ وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾[5] ، فكل من أنذر الناس بغير الوحي والقرآن وما يستفاد منه فقد أخطأ الطريق .

رابعًا : من فوائد هذه الأصول وآثرها : زوال التعصب :

من أهم ما تثمره هذه الأصول التربوية في شخصية الإنسان والطالب التخلص من التعصب والتقليد ، بل إذا ابتدأ الطالب بعد حفظ القرآن بعلم تفسيره وبيانه والتفقه فيه كما رتبه الله ، لم يجد هذا الهاجس إلى نفسه سبيلًا ، وما وجد التعصب والتقليد إلا بمخالفة المنهج الذى رسمه القرآن في التربية والتعليم ، وهو تعليم الخط والكتابة ، ثم التلاوة ثم التفسير والحكمة والتزكية كما قدمنا في قوله تعالى : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾[6]

فبمخالفتنا لمنهج التربية والتعليم كما رسمه القرآن نعلم الطلاب التعصب والتقليد من حيث لا ندري ، ولذلك نجد كتب التفسير تختلف اختلافاً كبيراً ، والقرآن جاء ليبين للناس فيما اختلفوا فيه ، لأن أكثر المفسرين دخلوا

(١) من [الآية: ٥٢ :الفرقان] .
(٢) «الجامع للقرطبي» (٥٦/٧) «زاد المسير» (٢٠/٦) .
(٣) «تفسير ابن باديس» (٣٣) .
(٤) من [الآية: ٤٥ :الأنبياء] .
(٥) من [الآية: ١٩ :الأنعام] .
(٦) [الآية: ١٢٩ :البقرة] .

باب التفسير، وهم يحملون أفكارًا ومذاهب ومباديء ظهرت آثارها في تفاسيرهم ، في حين أن الذي دخل إلى التفسير كما دخله الصحابة والتابعون ومن تبعهم واقتفى آثارهم ظهرت آثار التفسير فيهم ، فالسلف تأثروا بتفسير القرآن وأثر التفسير فيهم، والخلف أثروا في التفسير ، ولم يتأثروا به .

o **ظاهرة التعصب والتقليد لا تمحى ولا تزول إلا بتفسير القرآن وفهمه** والتفقه فيه، لأن النظر في القرآن نفسه وفي ألفاظه بالذات تجعل الطالب يأخذ الحكم الذي تدل عليه الآية دلالة قطعية أو الحكم الأقرب إلى نص الآية إن اختلفت فيه أنظار العلماء.

خامسا : من فوائد هذه الأصول وأثرها الاستقلال في الأخذ والترجيح .

من ثمرات هذه الأصول التربوية على شخصية الطالب تعلمه الاستقلال في الأخذ والترجيح ، وعدم التبعية والتقليد .

o **فهذا ابن العربي المالكي في «أحكام القرآن»** كثيرًا ما يتعصب لمذهبه ويحمل على المخالفين ، إلا أن أسلوب القرآن وروعة بيانه أرغمه في بعض المواضع من أحكامه على عدم التعصب ، ونسي نفسه ورجح بقوة مذهب المخالفين لمذهبه ، مبينًا الوجه والسبب . فقال عند قوله تعالى : ﴿ كلوا من ثمرة إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ﴾[1] : « وقال أبو حنيفة تجب الزكاة في كل ما تنبته الأرض من المأكولات ...» ثم تعرض لذكر بقية المذاهب وصرّح بما يخالف مذهبه المعتاد وقال كلمة بليغة تكتب بماء الذهب فقال :« وأما أبو حنيفة فجعل الآية مرآته فأبصر الحق »[2] .

قال القرطبي : « وأخذ يعضد مذهب الحنفي ويقويه»[3] .هذا هو حال من

(١) من [الآية: ١٤١ :الأنعام] .

(٢) «أحكام القرآن» لابن العربى (٧٥٩/٢) .

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩٢/٤) .

يطلب فقه القرآن ، لا فقه الفقه ، وهكذا حال كل من يجعل القرآن مرآته فإنّه يبصر الحق كما أبصره الإمام أبو حنيفة ، وابن العربي ، وجميع الأئمة ، ما أحوجنا اليوم إلى أن نجعل القرآن مرآتنا لنبصر الحق والهدى والرشاد في هذه الظلمات المتراكمة علينا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم

سادساً : من فوائد هذه الأصول وأثرها : الاتزان والاعتدال

من ثمرات هذه الأصول التربوية وفوائدها وأثرها أنها تكسب شخصية الطالب اتزاناً واعتدالاً وتكاملاً ، فلا ينحاز ولا يميل، لأن المصدر الذي يتلقى منه علومه ومعارفه واحد ، فلا يطغى عليه جانب دون جانب ، **فهو عند آيات الأسماء والصفات** يتعلم أسماء الله وصفاته بدون تعطيل ولا تمثيل ، وإذا جاء إلى آيات الجهاد وما أكثرها تعلم وتفقه في أحكام الجهاد ، **وإذا جاء إلى آيات الأحكام** تعلم الفقه والأحكام الشرعية والحدود ، **وإذا مرّ على آيات الفرائض** تعلم ذلك ولاشك ، **وإذا مرّ على الآيات المتعلقة بالبر والإحسان** تعلم ذلك وتطبع وعمل به، **وإذا مرّ على الآيات** التي تذكر فيها الأمم السابقة وأحوالهم ، وما آل إليه أمرهم اعتبر بذلك واتعظ ، وتعلم قصص الأنبياء والرسل وما لقوه في سبيل الدعوة وعلم طرق الدعوة ووسائلها وأهدافها

o تفسير القرآن والتفقه في علوم القرآن يساهم مساهمة فعاله في بناء الشخصية السوية المعتدلة ، لأن القرآن تضمن علومًا كثيرة ومنوعة ومكررة لمختلف الأساليب ، وكل واحد منها يغذى جانبًا من جوانب الشخصية مع المحافظة عن التوازن والتكامل ، لأن نظرة القرآن إلى الإنسان نظرة شاملة تغطى جميع مجالات حياة الإنسان

o **ولما كانت الوسطية من مزايا هذه الأمة** ، حث عليها الشرع وقررها القرآن: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾[1] كان لتفسير القرآن وفهمه والتفقه فيه أثر قوي لا ينكر في تحقيق صفة اعتدال الشخصية واتزانها

o **وإذا مرّ على الآيات** التي تدعو إلى التفكر والتأمل والاعتبار بمخلوقات الله تعلم طرق التدبر والتفكر ، فتنمى فيه ملكة التفكير السليم والنظر السديد والتصور الصحيح فينعكس ذلك على سلوكه ، لأن سلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطًا وثيقًا يستقيم باستقامته ، ويوعج باعوجاجه ويثمر بإثماره ، ويعقم بعقمه ، وأفعاله ناشئة عن اعتقاداته وأقواله إعراب عن تلك الاعتقادات

قرأ ﷺ هذه الآيات ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ..﴾[2]

ثم قال « ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها »[3]

سأل عبد الرحمن بن سليمان الإمام الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن وما ينجيه من هذا الويل ؟ فأطرق هنيهة ثم قال « يقرأهن وهو يعقلهن »[4]

---

(١) من [الآية: ١٤٣ :البقرة]

(٢) [الآيات: ١٩١،١٩٠ :آل عمران]

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤٥٠/١) انظر «القرطبي» (٣٠٤/٤) «فتح البيان» (٤٠١/٢)

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤٥١/١) انظر «القرطبي» (٣٠٤/٤) «فتح البيان» (٤٠١/٢) .

سابعًا : من فوائد هذه الأصول وأثرها تكامل الموضوع :

إن الطالب والدارس الذي يتفقه في القرآن وعلومه يمرّ على جميع الآيات القرآنية ، فيتكامل الموضوع لديه ، لأن موضوع الآيات ومقاصدها ليست منسوقة ولا مجموعة في موضع واحد وليست في سياق واحد، فتجد أن الآية أو الآيات مفصولة عن الأولى بجملة من الآيات الأخرى وهي ليست في نفس الموضوع، فقد يأتي ما يكملها أو يوضحها أو يبينها أو يقيدها أو ينسخها في آيات أخرى وفي سور أخرى ، فيحتاج الأمر إلى جمع هذه الآيات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد ، وهذا لا يحتاج إليه في التفسير التحليلي

• **والأمثلة على هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى** ﴿ قل إنما أنا منذر ﴾ في [الآية: ٦٥] في آخر «سورة ص» ، هو جواب لقول كفار قريش في صدر السورة ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب ﴾ في [الآية: ٤] ، وقوله عزّ وجلّ في آخر السورة: ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ﴾ في [الآية: ٦٦] في «سورة ص» هي جواب وتفنيد لقولهم في صدر السورة ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدًا ﴾ في [الآية: ٥] ، وقوله جلّ وعلا في آخر السورة :﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ﴾ في [الآية: ٦٨] من «سورة ص» هو جواب وتفنيد لقولهم في صدر السورة :﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلاّ اختلاق ﴾ في [الآية: ٧] من «سورة ص» هذا ما وقع في السورة الواحدة نفسها من الأجوبة وشبهات المنكرين والجاحدين

أما ما وقع الجواب عنه في غير السورة التي وردت فيها الشبهة فكثير، ومنه قوله تعالى ﴿ ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ في

[الآية: ٦] من «سورة القلم» ، وقوله تعالى ﴿ وما صاحبكم بمجنون﴾ في [الآية: ٢٢] من «سورة التكوير» ، فكل هذه الآيات وغيرها أجوبة تفند زعمهم الباطل كما حكاه القرآن في قوله تعالى ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ في [الآية: ٦] من «سورة الحجر»

ومنه قوله تعالى ﴿ وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرًا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين ﴾ [الآيات: ١٦٧،١٦٨،١٦٩] في «سورة والصافات» فأكذبهم الله وأجاب عن زعمهم في سورة أخرى في «سورة المؤمنون» في [الآية: ٧١] فقال :﴿بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾

وإذا كان الأمر كما ذكرنا ومثلنا فإن القرآن الكريم كله كالسورة الواحدة، وحينئذ يتكامل الموضوع لدى الطالب ويؤثر في بنائه العلمي الصحيح والكامل ، لأن القرآن لم يأت على نسق الكتب الموضوعة على أبواب وفصول ومباحث ، وإنما يشتمل على آيات وسور وكل آية أو آيات في غرض معين فيأتي ما يكمله ويتمّمه في آيات أخرى أو في سورة أخرى ، فلابدّ من الربط بين هذه الآيات وتلك ليكتمل الموضوع ، ولن يتأتى هذا إلا لمن سار مع كتاب الله آية آية وفهم القرآن لا يكون صحيحًا إلا بالجمع بين الآيات المتقابلة في الموضوع الواحد

ثامناً : من فوائد وثمرات هذه الأصول التربوية وحدة التقارب :

ومن أهم ما يثمره الاشتغال بالتفقه في القرآن وعلومه وتفسيره الوحدة بين جميع المسلمين ، وحدة في الإحساس والشعور ، ووحدة في الوجدان والتفكير ووحدة في السلوك والعمل فتتقارب النفوس وتستقيم ، وإن تعددت نوازعها ومشاربها وتصوراتها وألوانها لصدورها عن أصل واحد ونبع واحد

---

(١) [الآية: ٩٦ :مريم]

وهو التفقه في القرآن وعلومه فيزدادون صلة وودًا ومحبة : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾[1]

ولذلك ؛ كان أهل القرون الفاضلة إخوة متماسكين يحب بعضهم بعضًا، ولم يكن بينهم هذا التباعد وهذا الجفاء وهذا الانفصال الذي نراه اليوم بين الناس والعلماء فيما بينهم

تاسعاً : من فوائد هذه الأصول تحقيق صفة الربانية :

من أهم ما يثمره هذا المنهج التربوي الفريد الذي رسمه القرآن تحقيق صفة الربانية ، وقد أخذنا هذا المعنى من قوله تعالى :﴿ كونوا ربّانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾[1]

الطالب الذي يلتزم بهذه الأصول التعليمية يكون ربّانياً والباء في الآية سببية فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة في كتاب الله توجب أن يكون الإنسان ربّانيًا.

فبعلم الكتاب والتفقه فيه، وتعليمه للناس ونشره والعمل به يكون الإنسان ربّانيًا مرضيًا عند الله[2]

○ قال الألوسي

«كونوا كذلك بسبب مثابرتكم على تعليمكم الكتاب ودراستكم له، والمطلوب أن لا ينفك العلم عن العمل إذ لا يعتد بأحدهما بدون الآخر »[3]

○ قال الفخر الرازي

« دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربّانيًا ،

---

(١) [الآية: ٧٩ :آل عمران]

(٢) انظر «تفسير المنار» (٣٤٨/٣)

(٣) «روح المعاني» (٣٣٢/٣)

فمن اشتغل بالتعلّم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه وخاب عملُه»[1].

عاشرًا : الآثار السلبية لفصل العلوم من أصلها القرآن :

إن علومَ الشريعة ومباحثها كلها إذا فصلت من أصلها القرآن ، ثم اقتصر عليها كمقرّرات دراسية لا تجد فيها ما تجده من الطراوة والحلاوة عندها تأخذها وهي موصولة بأصلها ، و إن بقي شيء منه فتجد فيه جفافا وخفوتا وهزالا ، ولا تجد تلك الحيوية والقوة والنضارة عند ما تأخذ الأحكام والعلوم من أصلها القرآن ، لأنها - والحال هذه - موصولة بما يغذيها فتسري فيها قوة وجمالا وروعة وحيوية ، وتبعث في صاحبها قوة العمل بما علم هذا ما علمته بالتجربة التي لا تخطئ

علوم الشريعة كلها ومباحثها كلها تأبى الانفصال والاستقلال ولا تبقى لها تلك الطراوة والحلاوة إذا بُتِرتْ من أصلها ثم الاعتماد عليها وقد يدخل فيها ماليس منها ويخرج منها ما هو منها وقد تموت كالغصن إذا بان من الشجرة ، فعذاؤها لا يكون إلا إذا كانت موصولة بأصلها ، وتؤخذ من أصلها غضّة طرية

ودليلي على هذا ما يلي :

أولًا إن أول ما يفقده الدارس لعلوم الشريعة كلها ، إذا كانت منفصلة عن أصلها القرآن إعجاز القرآن ووجوهه المتعددة فإعجاز القرآن إذا لم تأخذه من أصله القرآن لا تجده أبدا لحال من الأحوال ، فيوجد طالما كان موصولاً بأصله ، وينعدم إذا بتر من أصله ، فعلينا أن نجعل القرآن مصدر علومنا ومعارفنا ، ونربط جميع المقرر ات به لأن الوقوف على مواطن الإعجاز في القرآن أمر لا يدرك إلا بالذوق ولا يمكن تحديده ولا إقامة الأدلة المنطقية عليه

(١) «تفسير الرازي» (٤/١٢٥)

ولكنه يدرك بالذوق ولا يمكن نقله إلى الآخرين

إن الذي يعيش مع القرآن يدرك إعجاز القرآن من معينه الصافي الذي لم تكدره الدلاء لأن وصف العلماء لوجوه الإعجاز قاصر جدًا ،ولو وصفوه وحددوه بالحدّ المطابق للمحدود لما كان معجزا وقد صرّح بالعجز الدكتور محمد عبد اللّه دراز ، وهو يحاول أن ينقل ما أدركه ،ويترجم ما أحسه فقال :

«ولقد وردت مناهل القول وتذوقت طعومها فما وجدت كالقرآن أعذب موردًا ، والآن ءامنت أنه نسيج وحده وأنه يَعلو ، وما يُعلى ،وأنه يحطم ماتحته غير أنني - وقد أدركت من قوة الأسلوب القرآني وحلاوته ما أدركت - لم يزل الذي أحس به من ذلك معنى يتجمجم في الصدر لا أحسن تفسيره ولا أملك تعليله»[1]

وقد قرّر أبو سليمان الخطابي من قبله عجز العلماء عن إبراز تفاصيل وجوه الإعجاز فقال «ذهب الأكثرون من علماء النظر إلى أن وجوه الإعجاز من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها ، وصغوا فيه إلى حكم الذوق»[2]

وقال العلامة ابن خلدون

«الإعجاز تقصر الأفهام عن إدراكه ، وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته ، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه»[3]

وتحدث الإمام السكاكي عن إعجاز القرآن ، وهو لا يرى إدراكه

---

(١) «النبأ العظيم» (١٤٢/١٢٦)

(٢) «البرهان» (١٣٣/٢) «الإتقان» (٢٦١/١) «البيان» (١١٧)

(٣) «حول إعجاز القرآن» (١٧/١٨)

بالوصف وإنما بالذوق وطول الممارسة لعلوم البلاغة فقال «واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها»(١)

وإذا كان الأمر كما سمعت من تقرير العلماء ، فإن إعجاز القرآن أول ما تفقده عندما تتفقه في غير كتاب اللّه ولو كانت هذه العلوم من علوم الدين فإن إعجاز القرآن يدرك بالوجدان ، ولا يترجم بالأقلام ، ولا تحيط به الأسطار ومن ثم كان التفقهُ في القرآن وحده هو السبيل الوحيد الذي يلج منه الدارس والمتعلم إلى استشعار هذا الإعجاز بحاسته الذوقية ، وملكاته البيانية ، وبغير ذلك فإنه سيظل أسيرًا يستروح مما تذوقه الآخرون من معان وبيان وأحكام وحكم ،وليس فيها موضع للإعجاز ، فلا سبيل لأحد أن ينقل إعجاز القرآن إلى الآخرين كما دلت على ذلك النصوص السابقة ، ولا سبيل لأحد أن يدرك إعجاز القرآن من دراسة الآخرين ، فلم يبق له إلا أن يطلبه من معينه الصافي من أصله القرآن الكريم

ثانيًا الأثر السلبي للتجزئة والتبعيض للقرآن

لقد أنكر القرآن الكريم على بنى إسرائيل أشد الإنكار وتوعدهم بأقصى الوعيد على التفريق ين أحكامه بالإيمان ببعضها ، والكفر بالبعض الآخر فقال : ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاخزي في الحياة الدنيا ،ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾(٢)

اللّه عز وجل كان قد أخذ على اليهود الميثاق أن لا يقتل بعضهم بعضًا ، وأن لا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، وأن يفدي بعضهم بعضا من

(١) «البرهان» (٢/٢٣١) «الإتقان» (١/٢٦٠)

(٢) [الآية: ٨٥ :سورة البقرة]

الأسر ، فهذه ثلاثة عهود خالفوا منها عهدين وأخذوا بالثالث ، فقتل بعضهم بعضا ، وأخرجوهم من ديارهم ، ثم فادوا أسراهم ، لأن اللَّه أمرهم بذلك ، فأنكر اللَّه عزّ وجلّ ذلك التفريق ، والأخذ ببعض الكتاب دون البعض الآخر .

قال ابن القيم «والأخذ ببعض الكتاب يوجب عليهم الأخذ بجميعه»[(١)]

ثم قال «ثم أخبر أنهم عصوا أمره وقتل فريق منهم فريقًا ، وأخرجوهم من ديارهم ، فهذا كفرهم بما أخذ عليهم في الكتاب ، ثم أخبر أنهم يفدون من أسر ذلك الفريق وهذا إيمان منهم بما عليهم في الكتاب فكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق كافرين بما تركوه منه»[(٢)]

وروى عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عِضين﴾[(٣)] ، أنهم اليهود والنصارى جزأوه أجزاء فآمنوا بما وافق التوارة ، وكفروا بالباقي»[(٣)]

وقد أنكر القرآن أشد الإنكار على من يفرق بين أحكام اللّه وشريعته ، وهو شأن الكافرين فقال ﴿إن الذين يكفرون باللَّه ورُسله، ويريدون أن يفرقوا بين اللَّه ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا﴾[(٤)] فتجزئتهم وتفريقهم والإيمان ببعض والكفر ببعض الآخر جعلتهم أحق بوصف الكفر من غيرهم الذين يكفرون بالكل

قال أبو الطيب صديق «فإن أهل الكُتاب لم يكفروا باللَّه ولا بجميع

---

(١) «بدائع التفسير» (٣٢١/١)　　(٢) «بدائع التفسير» (٣٢٢/١)

(٣) «تفسير ابن كثير» (٥٧٨/٢) «اللباب» (٤٩٢/١١)

(٤) [الآيتان: ١٥٠ ، ١٥١ :سورة النساء]

(٥) «فتح البيان» (٢٨٣/٣)

رسله لكنهم لما كفروا بالبعض كان ذلك كفرًا باللَّه وبجميع الرسل»[٥] وقد حذّر اللَّه نبيه ﷺ - وهو تحذير لكل أمته - أن يفتنه أهل الكتاب عن بعض ما أنزل اللَّه عليه من القرآن فلا يحكم به» ولا يعمل بموجبه ، فقال ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل اللَّه ولاتتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل اللَّه إليك﴾[١]

قال الزمخشري «وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين ، وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرًا لها ، واعتبارا بموردها»

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بعد نقله كلام الزمخشري يعني أنها في شأن الكافرين من دلالة العبارة ، وفي شأن المؤمنين من دلالة الإشارة»[٢]

أقول وقد جاءك ذلك صريحًا عن حبر الأمة عبدالله بن عباس فقال «كل ما جاء في القرآن من ذم أحوال الكفار فمراد منه أيضا تحذير المسلمين من مثله في الإسلام»

قال الشيخ الطاهر «ومن عادات القرآن أن يذكر أحوال الكفار إغلاظا عليهم ، وتعريضا بتخويف المسلمين من فعل فعلهم»[٣]

قال القرطبي في تفسير الآية السابقة «قال علماؤنا كان اللَّه تعالى قد أخذ عليهم أربعة عهود ترك القتل ، وترك الإخراج وترك المظاهرة ، وفداء الأسرى ، فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء ، فوبخهم اللَّه على ذلك توبيخًا يتلى فقال ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ......﴾ ثم قال «قلت ولعمر اللَّه لقد أعرضنا نخف عن الجميع بالفتن ، فتظاهر بعضنا

---

(١) من [الآية: ٤٩ :سورة المائدة]

(٢) «التحرير والتنوير» (٣٧/١)

(٣) «التحرير والتنوير» (٨١/٣)

على بعض ليت بالمسلمين ، بل بالكافرين حتى تركنا إخواننا أذلاء صاغرين يجرى عليهم حكم المشركين فلا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم»[١]

○ **وقريب من مسلك اليهود والكفار في التجزئة والتبعيض المنافقون** - كما حكاه القرآن عنهم ، ونفى عنهم الإيمان لأنهم يرفضون حكم الله ورسوله إذا دعوا إليه ولا يذعنون له إلا فيما يوافق أهواءهم ومصالحهم الخالصة ، فنفى عنهم القرآن الإيمان نفيًا صريحًا فقال ﴿ويقولون ءامنا باللّه ، وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ، وإذا دعوا إلى اللّه ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم أرتابوا أم يخافون أن يحيف اللّه عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾[٢]

وقد دلّ القرآن على التبرّي من الذين يفرقون دين اللّه قال تعالى ﴿إن الذين فرّقوا دينهم وكانو شيعًا لست منهم في شيء﴾[٣] قرأ الجمهور «فرّقوا دينهم» من التفريق ، وهو الفصل بين أجزاء الشيء الواحد ، وجعله فرقا وأبعاضا ، وقرأ حمزة والكسائي «فارقوا» من المفارقة للشيء ، وهو تركه والانفصال منه ، وهي تفيد أن تفريق الدين قد يستلزم مفارقته لأنه واحد لا يتجزأ ، ومن التفريق العمل ببعض الكتاب دون بعضه الآخر»[٤]

قال أبو حبان «تركوه وباينوه ، ومن فرّق دينه فآمن ببعض وكفر ببعض ، فقد فارق دينه المطلوب منه»[٥]

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢/٢٦) «البحر المحيط» (١/٤٦٠)
(٢) [الآيات: ٤٧ - ٥١ :سورة النور]
(٣) من [الآية: ١٥٩ :الأنعام]
(٤) «المهذب في القراءات» (١/٢٣٣) «قراءات للنبي ﷺ» (١٢٧)
(٥) «البحر المحيط» (٤/٢٦٠)

فقه القرآن والتفقه فيه دون غيره لايعرف هذه التبعيض ولاهذه التجزئة ، ولا هذا الانفصال ، فمقاصده متشابكة يغذي بعضها بعضًا ، ويلتحم بعضها ببعض فلا ينفصلان تختلط فيه العقيدة مع العبادة ، مع الأخلاق مع الأحكام مع المعاملات المختلفة ،وكلها أحكام تمتزج كلها بالعقيدة ، وترتبط بها ارتباط الشرط بجوابه

قال الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل

«إن التفريق بين الشريعة والعقيدة إنما هو تفريق نظري فني طارئ جرّت إليه ضرورة التأليف والتصنيف والتبحر بالعلوم والتخصص فيها والتشقيق لفروعها .

فلا تجد في نصوص القرآن والسنة ولا في أقوال الصحابة وأئمة الدين في القرون الثلاثة الفاضلة هذا التفريق المتكلف الذي اضطر إليه المسلمون فيما بعد حينما كثر الافتراق وتشعبت العلوم وكثر التصنيف وتعددت المناهج والمشارب والأساليب»[١]

وقال ابن القيم

«ولم يكن للصحابة رضي الله عنهم كتاب يدرسونه وكلام محفوظ يتفقهون فيه إلا القرآن وما سمعوه من نبيهم ﷺ ولم يكونوا في مجالسهم يتذاكرون إلا في ذلك ، فخلف من بعدهم خلف قوم يقرأون القرآن ولا يفهمونه ، وآخرون يتفقهون في كلام غيرهم ويدرسونه وآخرون يشتغلون في علوم أخرى وصنعة اصطلاحية»[٢]

قال الدكتور حسين الذهبي في بيان موقف بعض الناس من القرآن لا

(١) «التلازم بين العقيدة والشريعة» (١٢)

(٢) «الصواعق المرسلة» (٤٤١)

يأخذون من القرآن إلا بقدر ما ينصر مبادئهم ويدعو إليها وما رأوه يصادم مذهبهم حاولوا التخلص منه بصرفه وتأويله»[١]

وهكذا حال من تعلق ببعض الكتاب دون بعض ، أو أخذ بعضه دون البعض الآخر ، وهو انحراف خطير في الفكر ،وشذوذ في التفكير واعتلال في الشخصية أوجبه الاقتصار على بعض الآيات دون بعض

قال رشيد رضا «وفهم القرآن لا يكون صحيحًا إلا بالجمع بين الآيات المتقابلة في الموضوع الواحد الذي يختلف التعبير فيه»[٢]

الذي يقضي على مظاهر الانحراف والغلوّ والشذوذ هو الاشتغال بالقرآن الكريم كله فهما وتفقها ، فعلومه وأحكامه تأبى الانفصال والاستقلال ، ولا تبقى لها حلاوتها وطراوتها إذا بترت من أصلها ، فتفقد غذاءها فيجب ربط جميع العلوم قاطبة بأصلها القرآن الكريم ، ولا ينبغي أن يبقى القرآن والسنة إلا دليلاً فقط فهما الدليل والمدلول عليه ، فيجب فقه هذا الدليل واستخراج الأحكام منه وقد يكون الاقتصار على التجزئة والتبعيض مؤديا بصاحبه إلى الميل والشطط والغلو والتعصب ، وقد حصل شيء من هذا كما هو مشهود في الواقع وكل ما نراه من فروق جلية بين الناس ترجع إلى الاقتصار على التجزئة والتبعيض مفصولة من القرآن وإن كانت تعتمد على القرآن ، فالفصل وحده كاف لإحداث هذا

ثم لا يستطيع الإنسان أن يجزم بأن هذه الآية في الأحكام وتلك في العقيدة ، وقد تعلقت الأحكام بالعقيدة تعلق الشرط بجوابه ، والآية الواحدة في القرآن تتضمن جملة من العلوم

---

(١) «التفسير والمفسرون» (٣/١١١)، (٢/٢٦٠)

(٢) «تفسير المنار» (١/٢٠٠)

لذلك ؛ لم تنضبط آيات الأحكام عند العلماء ، وكان من الموفقين في ذلك الإمام القرطبي سمّي كتابه «الجامع لأحكام القرآن» وفسر القرآن كله ، وفصّل الأحكام كلها أكثر ممّا هي عند الذين اقتصروا عليها ولم يستغن عن بعضها ، ولم يستطع أن يفصل هذه الأحكام من أصلها كما فعل أبو بكر الجصاص في أحكامه وكما فعل ابن العربي في أحكامه ، ثم الفصل وحده كاف لإسقاط بعض الأحكام والربط وحده يتضمن معاني كما قال الفخر الرازي «إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[1] واللّه جل وعلا أعلم ، ولا إله غيره ، ولا مرجوّ إلا خيره .

o قد تُحدث دراسة العلوم المفصولة عن القرآن انفصالاً في بعض جوانب الشخصية ، فقد يتعلق بعضهم بالفقه فقط والآخر بالحديث ، وبعضهم بالعقيدة ، وبعضهم بأصول الفقه ، وكل هذه العلوم وغيرها هي بعض ما تضمنه القرآن وهي جزء يسير جدًا من علوم التفسير.

وقد يكون الاقتصار عليها يؤدى بصاحبه إلى الميل والشطط والغلو والتعصب، وقد حصل شئ من هذا ، وكل ما نراه من فروق واضحة في التفكير والسلوك ، بين الناس يرجع إلى الاختلاف بينهم في تخصصات مفصولة من القرآن ، وإن كانت تعتمد في بعضها على القرآن ، فالفصل وحده كاف لإحداث هذا

ثم لا يستطيع الإنسان أن يجزم بأن هذه الآية في الأحكام وهذه العقيدة، وإن كان أولها في الأحكام وآخرها في العقيدة فلا يمكن الفصل بينهما.

o **ولذلك** ؛ لم تنضبط آيات الأحكام عند العلماء ، فكان من الموفقين في ذلك الإمام القرطبي سمّى كتابه «الجامع لأحكام القرآن» وفسر القرآن كله ،

(١) «تفسير الرّازي» (١٤٦/٥)

وفصل الأحكام في تفسيره بأوسع من الذين اقتصروا على آيات الأحكام ، ولم يستغن عن بعضه الآخر، ولم يستطع أن يسلخ منه هذه الأحكام كما فعل أبو بكر الجصاص وابن العربي.

ثم الفصل وحده كاف لإسقاط بعض المعاني والربط وحده يتضمن أحكامًا.

قال الرازي إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط

فالذي يقضي على مظاهر الانحراف في التفكير والغلو والشذوذ هو الاشتغال بالقرآن حفظًا وفهما وتفسيرًا وتفقها

وممّا يؤخذ على من يقتصر على موضوع واحد أو مادة واحدة أو تخصص واحد أنه ينعزل وينغلق على ما حبس نفسه به وانزوت شخصيته في دائرة ضيقة من علوم الإسلام ، وبالتالي تنحصر علاقته بالأمة في أشخاص معدودين ، وتقلصت مودته إلى العدد القليل من الناس، ولم تكن له مشاركة ولا مساهمة عفوية مع الآخرين ، وبتر نفسه من جميع بقية فروع وعلوم التنزيل التي حواها كتاب الله.

الاشتغال بتفسير القرآن وفهمه والتفقه فيه يصل أصحابه بذوي التخصصات العلمية الأخرى ، ويرتبط بجميع أصناف الناس وطبقاتهم ، ويطمئنون للأخذ عنه والاستماع إليه لأنه لا يعلم فنا معينا بعينه ، ويستطيع أن ينشر عقيدة التوحيد على أوسع نطاق من خلال دروس التفسير

انفصال المقررات الدراسية على إطلاقه ليس من طبيعة هذا الدين ، ولا من شأن عمل السلف الصالح ، فإنهم يأخذون القرآن كله ، ولا يجزئونه ، فلابد من ربط علوم الشريعة وهذه المقررات الدراسية بالقرآن الكريم ولا يحقق هذه الغاية إلاّ تفسير القرآن والتفقه فيه دون سواه ، فهو وحده الكفيل بتحقيق

ولم يكن للصحابة - رضي الله عنهم - كتاب يدرسونه وكلام محفوظ يتفقهون فيه إلا القرآن وما سمعوه من نبيهم ﷺ ، ولم يكونوا إذا جلسوا يتذاكرون إلا في ذلك فخلف من بعدهم خلف قومٌ يقرأون القرآن ولا يفهمونه وآخرون يتفقهون في كلام غيرهم ويدرسونه ، وآخرون يشتغلون في علوم أخرى وصنعة اصطلاحية [1].

قال الشيخ عبد الرحمن النحلاوي

« فانفصال المواد الدراسية ليس من طبيعة الثقافة الإسلامية ،ولا من شأن التربية الإسلامية التي تأخذ الإسلام كلا لا يتجزأ وتعتبر كل العلوم التي انبثقت عنه ، ما تزال وظيفتها توضيح الشريعة الإسلامية والحفاظ عليها ، فلابد من ربط كل هذه العلوم بهدف التربية الإسلامية»[2].

يعنى الشيخ فلابد من ربط كل العلوم بالقرآن وعلومه

إن فصل المقررات الدراسية من القرآن والسنة بمرور الزمان قد ينسى ربطهما به، فيتقرّر في أذهان الناس استقلالها ، وحينئذ يدخلها اجتهادهم واستحسانهم بالتغيير والتبديل والإضافة والتعديل

الحادي عشر : الشذوذ الفكري عند بعض الناس وسببه :

ومن السمات البارزة الظاهرة عند بعض الناس أنهم لا يفسرون القرآن كله، ولا يتتبعونه آية آية ، لأنهم إن فعلوا يصطدمون بآيات المحكمات التي تناقض مذهبهم وهواهم ، فيسلكون مسلك الانتقاء والاختيار ، ومن فسّر القرآن كله منهم - وهم قلة - فإنهم يوجهون الآيات التي تصادم مذهبهم ، بالتأويل ، ويسلكون في سبيل ذلك كل مسلك انتصار لمعتقداتهم

(١) انظر «الصواعق المرسلة» (٤٤٤)

(٢) «التربية الإسلامية» للنحلاوى (٢٥٢)

والله عز وجل يخبر رسوله ﷺ أنه ليس من هؤلاء الذين يفرقون دين الله قال تعالى ﴿ إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شئ ﴾[1].

قرأ الجماعة ﴿فرّقوا﴾ من التفريق ، وهو الفصل بين أجزاء الشيء الواحد وجعله فرقاً ، وأبعاضاً ، وقرأ حمزة والكسائى ﴿فارقوا﴾ من المفارقة للشيء وهو تركه والانفصال منه، وإن تفريق الدين قد يستلزم مفارقته ، لأنه واحد لا يتجزأ ، ومن التفريق الإيمان ببعض الكتاب دون بعض ، ولو بالتأويل وترك العمل [2].

قال الإمام نصر بن على الشيرازي « والمعنى باينوا دينهم وخرجوا عنه، لأنهم حين آمنوا ببعضه وكفروا بالبعض فقد فارقوا الكل »[3]

الدين لا يتجزأ، وقد أنكر الله على من يفعل ذلك فقال:﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾[4]

وقال :﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين ﴾[5]

وقال ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً ﴾[6]

قال محمد حسين الذهبي «إن الباطنية لا يفسرون القرآن كله لأنهم يصطدمون بآيات محكمات ترد مذهبهم »[7]

(١) من [الآية: ١٥٩ :الأنعام]
(٢) انظر «تفسير المنار» (٢١٤/٨) «الكشف لمكي» (٤٥٨/١)
(٣) «الموضح في وجوه القراءات» (٥١٦/١)
(٤) [الآية: ٨٥ :البقرة]
(٥) من [الآية: ٩١ :الحجر]
(٦) [الآية: ١٥٠ :النساء]
(٧) «التفسير والمفسرون» (٢٦٠/٢)

وقال في بيان موقف الخوارج من التفسير :« لا يأخذون من القرآن إلا بقدر ما ينصر مبادئهم ، ويدعو إليها ، وما رأوه يصادم مذهبهم حاولوا التخلص منه بصرفه وتأويله » وقد لجأ بعضهم إلى المتشابه – وما هو بمتشابه – لغرض نصرة المذهب كما نص على ذلك القرآن المجيد فقال ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾[1]

وما وقع الانحراف والشذوذ الفكري إلا بسبب التعلق ببعض الآيات ، وإهمال الآيات الأخرى أو سوء الفهم لها، فيفزعون إلى المتشابه الذي بواسطته يمكنهم أن يصرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها[2]

بعض الناس تعلقوا بقوله تعالى :﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[3] ، وأثبتوا الحرية للإنسان ، وقالوا إنه خالق لأفعاله ، ونفوا صفة الكلام لله رب العالمين وتعلقوا بقراءة شاذة ﴿وكلم الله موسى تكليمًا ﴾[4] ، فجعلوا موسى هو الفاعل المتكلم ، وأغمضوا أعينهم عن القراءة المجمع عليها: ﴿ وكلمه ربه ﴾[5]

ويقابلهم طرف آخر ، فتعلقوا بقوله تعالى: ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾[6] ونفوا نسبة الأفعال إلى من صدرت عنه ، وقالوا:«الإنسان مجبور وعطلوا الأمر والنهي».

يقول الرازي « واعلم أن هذه الآية من جملة الآيات التي تلاطمت فيها أمواج الجبر والقدر

---

(١) [الآية: ٧ :آل عمران]
(٢) انظر «تفسير ابن كثير» (٣٧٠/١)
(٣) من [الآية: ٢٩ :الكهف]
(٤) من [الآية: ١٦٤ :النساء]
(٥) من [الآية: ١٤٣ :الأعراف]
(٦) من [الآية: ٣٠ :الإنسان]

فالقدري يتمسك بقوله تعالى :﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربّه سبيلاً ﴾ ، ويقول إنه صريح مذهبي

والجبري يقول متى ضُمّت هذه الآية إلى الآية التي بعدها :﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ خرج منه صريح مذهب الجبر»[1]

ويقول ابن عادل الحنبلي :« وقلما تجد آية في القرآن لأحد هذين الفريقين ، إلا ومعها آية للفريق الآخر ، والتجربة تكشف عن صدق هذا ، وما ذاك إلا امتحان من الله ألقاه على عباده ليتميز العلماء الرّاسخون عن المقلدين »[2]

وبعضهم لم ينظروا في باب الإيمان إلا في قوله تعالى ﴿ فأثابهم الله بما قالوا﴾[3] ، وقالوا «الإيمان قول باللسان فقط دون تصديق ولا عمل»[4] ، والآية التي ذكروها لا تدل عليه ، وإن الله يثيب على القول وعلى الفعل

قال القرطبي

« وهذا منهم قصور وجمود وترك نظر لما نطق به القرآن والسنة من العمل مع القول والاعتقاد فما ذهب إليه محمد بن كرّام السِّجسْتاني وأصحابه هو النفاق وعين الشقاق»[5]

وهكذا حال من تعلّق ببعض الكتاب دون بعض ، وهو انحراف خطير في الفكر ، وشذوذ في التفكير واعتدال في الشخصية ، أوجبه الاقتصار على بعض الآيات دون بعض.

---

(١) «تفسير الرازي» (٢٦٣/١٥)

(٢) «اللباب في علوم الكتاب» (٥١٦/١٢)

(٣) من [الآية: ٨٥ :المائدة]

(٤) «شرح العقيدة الطحاوية» (٥١/٢)

(٥) «الجامع للقرطبي» (٢٤٠/١)

قال رشيد رضا وفهم القرآن لا يكون صحيحاً إلا بالجمع بين الآيات المتقابلة في الموضوع الواحد الذي يختلف التعبير فيه »[1]

وإزاء هذا أو ذاك وفّق الله الراسخون في العلم وأثنى عليهم في فهم القرآن وتفسيره وبيانه ، فإنهم يفسرون القرآن كله ويستوعبون جميع الآيات القرآنية كلها، ولا يقتصرون على بعضها ويردّون المتشابه إلى المحكم، ومن ثم لم يكن عندهم هذا الشطط وهذا الانحراف وهذا الشذوذ

التفسير وفهم القرآن والتفقه فيه وحده هو الذي يقضى على ظاهرة التفرق والتحزّب والانتماء إلى فكر معين وتخصص معين ، فمدرسة التفسير تذوب فيها جميع الفوارق ، وتضمحل

اختيارنا لهذا المنهج ذي الأصول التربوية والعلمية كما رسمه القرآن الكريم، ودرج عليه سلفنا الصالح هو الوحيد الذي يقضى على ظاهرة الاختلاف والتفرّق والانتماء ، فأصولنا التربوية تسعى لتحقيق التوازن والاعتدال بين جميع المذاهب والمدارس الفقهية وغيرها وتستوعب - بإذن الله - جميع الأصناف والطوائف وسوف تكون مقبولة للجميع لوضوح أسسها ومعالمها وعدم المنازعة فيها لأنها مرتبطة بكتاب الله

بيان القرآن وفهمه والتفقه فيه هو السبيل الوحيد لهداية هذه الأمة ، وهو مصدر عزّها وفخرها ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون ﴾[2] ، ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾[3] من ترك ذكره وهجره كيف يذكره الآخرون ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً ﴾[4]

---

(١) «تفسير المنار» (١٣٢/٩)

(٢) [الآية: ٤٤ :الزخرف] (٣) [الآية: ١٠ :الأنبياء]

(٤) [الآية: ٩٩-١٠١ :طه]

فليزن طلاب علم هذا الزمن تعليمهم بهذه الأصول التربوية التي قررها القرآن، ولينظروا أين مكانهم من فهم القرآن وتدبره ، وما حظهم من هدايته ونوره، والله الموفق

أهمية مادة القرآن الكريم في المراحل الابتدائية

لقد خلق اللّه سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم ، وصوره في أحسن صورة ، وجعله من عنصرين الجسد والروح

وإن الجسد أصله من التراب ،لذا كان غذاؤه كله يعود إلى التراب ، والروح فمن اللّه وحده: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾[1]

وغذاء هذه الروح كله من وحي اللّه ،وهو القرآن الكريم ، فإذا مات الإنسان رجع ما كان من التراب إلى التراب ، وصعدت الروح إلى بارئها ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ..﴾[2] واللّه سبحانه وتعالى هيأ الغذاء النافع بتيسير أسبابه لكل من هذين العنصرين ، فجعل غذاء الجسد من التراب ، وجعل غذاء الروح من الوحي ، ونزل به الروح الأمين ، فإذا أهمل الإنسان غذاء الروح أو غذاها بالغذاء البشري اعتلت وتردت وهلكت

ولا غذاء للروح إلا بالقرآن به تحيا ،وبه قوام حياتها ، اسمع ماذا يقول رب العزة والجلال ﴿ يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾[3] ، هذا النداء وهذا الخطاب غريب وعجيب ،كيف يدعوهم للاستجابة لما يحييهم وهم أحياء ، فدل هذا الخطاب الرباني أن الاستجابة للقرآن حياة أخرى من نوع آخر

(١) [الآية: ٩ :سورة السجدة]

(٢) [الآية: ٢٧،٢٨ :سورة الفجر]

(٣) [الآية: ٢٤ :سورة الأنفال]

ولا يمكن حمل الحياة ها هنا على نفس الحياة لأن إحياء الحي محال ، فوجب حمله على حياة أخرى من نوع آخر ، وهي العمل بأوامر القرآن ، واجتناب نواهي القرآن ، فكلُّ ما دعا إليه القرآن ورغب فيه وأمر به وحثَّ عليه ونهى عنه في القرآن ،والسنة المبينة له هو الحياة في ميزان القرآن وعرف القرآن

وقد تعارف الناس على أن الحياة تتميز بالحركة والنشاط وإذا قصرنا الحياة على هذا الفهم لما اختلف إنسان ناطق عن حيوان أعجم ، لأن القرآن يأبى ذلك فقد عرّف الحياة بأنها استجابة لأوامر اللّٰه ﴿ يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله للرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ كما تقدم ، وقال أيضًا ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾[1] ، وسمى اللّٰه عز وجل القرآن روحًا ، لأن الأرواح تحيا به كما تحيا الأبدان بالغذاء المادي فقال ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾[2] ، شبهت هداية القرآن ونوره بحلول الروح في الجسد ، فيصير حيًا بعد أن كان جثة[3]

قال الرازي في قوله تعالى ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ أكثر الفقهاء على أن ظاهر الأمر للوجوب وتمسكوا بهذه الآية على صحة قولهم من وجهين

الأول أن كل من أمره اللّٰه بفعل فقد دعاه إلى ذلك الفعل ،وهذه الآية

---

(١) [الآية: ١٢٢ :سورة الأنعام]

(٢) [الآية: ٥٢ :سورة الشورى]

(٣) انظر «تفسير ابن كثير» (١٣١/٤) ، والطاهر بن عاشور (١٥٠/٢٥) .

تدل على أنه لا بد من الإجابة في كل ما دعاه اللَّه إليه

الثاني إن النبي ﷺ لَامَ أبيّ بن كعب لما دعاه ولم يجبه لأنه كان في صلاة فخفّفها ، ثم جاء فلامه على ترك الإجابة(١)

وقال ابن عادل الحنبلي

وهذه الآية تدل على أن الأمر يفيد الوجوب لأنها تدل على أنه لابدّ من الإجابة في كل ما دعا إليه اللَّه ، ويؤيده ما روى أبو هريرة رضي اللَّه عنه - أن النبي ﷺ مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة ، فخفف صلاته ثم جاء فقال «ما منعك من إجابتي» فقال كنت أصلي فقال أليس اللَّه يقول ﴿ يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ فلامه على ترك الإجابة»(٢)

أقول

فلامه ﷺ ، وهو متلبس بأعظم عبادة ، وهي الصلاة ، وكان يجب عليه أن يقطع صلاته ويلبي نداء رسول اللَّه ، فكيف بنا نحن لا نجيب نداءات القرآن المتكررة وكيف بنا لا نجيب داعي القرآن والحال أننا على غير ما كان عليه أبي ابن كعب بل ولا على أقل من ذلك بكثير فنحن أحق الناس وأحرى وأولى بالإجابة إلى ما دعا إليه القرآن وأمر به ونبه عليه ، وحث عليه

قال محمد بن علي الشوكاني

«ويستدل بهذا الأمر بالاستجابة على أنه يجب على كل مسلم إذا بلغه قول اللّه أو قول رسوله في حكم من الأحكام الشرعية أن يبادر إلى العمل به

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (١٥٠/٨،١٥١)

(٢) «اللباب في علوم الكتاب» (٤٨٩/٩) ، والحديث أخرجه الترمذي وغيره ، وقال «حسن صحيح» (١٨٤/٥)

كائنا ما كان ، ويدع ما خالفه من الرأي وأقوال الرجال»[1]

قال جمهور المفسرين «المعنى استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهي ففيه الحياة الأبدية والنعمة السرمدية»[2]

وقوله ﴿ لما يحييكم ﴾ قال قتادة «هو هذا القرآن أي أجيبوا إلى ما في القرآن ففيه الحياة والنجاة والعصمة»[3]

وفسرها أبو الطيب صديق والألوسي بعلوم الشريعة وعلوم القرآن أطلقت الحياة على العلم بالقرآن كما أطلق الموت على الجهل لأن علوم القرآن هي مناط الحياة الأبدية كما قال الشاعر

لا تعجبن لجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن[4]

اللّٰه عز وجل خلق هذا الإنسان ، وهو أعلم بما ينفعه وبما يصلحه ، وما يرفعه عن مستوى مخلوقاته ، وكرمه وفضله وجعل له منهجًا متكاملاً منوعًا يزكيه ظاهرا وباطنا ويتعهده من جميع الجوانب ، ولم يهمله ، فأعطاه اللّٰه هذا القرآن يحفظ به حياته كلها ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ءاتيناه حكمًا وعلمًا ﴾[5] وكل من قدم لهذا الإنسان الذي لم يشارك في صنعه غذاء لروحه غير غذائه المنزل فقد أفسده ، قال تعالى ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾[6]

---

(١) «فتح القدير» (٤٣٥/٢)

(٢) «المحرر الوجيز» (٥١٤/٢) ، «البحر المحيط» (٤٧٦/٤) ، «الجامع» (٢٤١/٧)

(٣) «تفسير الرازي» (٥١/٨) ، وابن كثير (٣١٠/٢) ، والألوسي (٢٧٦/٦)

(٤) «روح المعاني» (٢٧٦/٦) ، «الكشاف» (٢٠٠/٢) ، حاشية «الشهاب» (٤٥٦/٤)

(٥) [الآية: ١٤ :من سورة القصص]

(٦) [الآية: ٥١ :سورة الكهف]

قال الحافظ السيوطي

«تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام فينشئون على الفطرة ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها ، وسوادها بأكدار المعصية والضلال»(١)

وقال ابن خلدون

«تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان ، وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات»(٢)

• فائدة اختيار جزء «عم» من القرآن الكريم

إن اختيار الجزء الذي يبتدئ من سورة «عم يتساءلون» لمقرر مادة القرآن الكريم للمرحلة الابتدائية لينسجم تمامًا مع أطفال هذه المرحلة ، فالقرآن الكريم بغنّاته ومدّاته وصفات حروفه وتناسب مقاطع رؤوس آياته ، له تأثير كبير على النفوس البشرية عامة يهزّها ويجذبها ، وكلما اشتدت النفس صفاءً ازدادت تأثرًا ، والطفل أقوى الناس صفاء ، وفطرته ما زالت نقية فتسري روح القرآن في قلوبهم ونوره في مداركهم فيستقر في أفكارهم

○ والأمر العجيب - وهو بيت القصيد - إذا تأملنا الآيات المكية والمقررة على المراحل الابتدائية وجدناها قصيرة تتناسب تمامًا مع نفسه القصيرة ، وتنسجم معه لفظًا ومعنى في غير إرهاق ، فهي قصيرة ، وتقع في جمل قصيرة وتقع في المفصل ، فلا يضيق بها نفس الطفل الصغير ، فيلتئم نظم

---

(١) نقلًا عن كتاب «القرآن المجيد» للشيخ / عبد الله سراج الدين (٤٥)

(٢) «مقدمة ابن خلدون» (٣٩٧)

القرآن على لسانه ، وينساب انسياب الماء في الحدور ، فلا يجد له جهدًا ولا مشقة ، فيثبت أثره في نفسه ، وصدق اللَّه وعده إذ يقول ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾[1]

اللَّه عز وجل يسر وسهل كل أسباب الحفظ والفهم والتلاوة لعباده فيسر كتابه للذكر ، تيسير ألفاظه للحفظ ويسر معانيه للفهم ويسر أمر أمره ونواهيه للامتثال

إن شأن هذه السور القصار لعجيب فكأنها نزلت من أجل أطفال مراحل التعليم الابتدائي ، فتحمل في نفسها العوامل المشجعة للحفظ ، وكأنما فصلت تفصيلًا لأطفال هذه المرحلة من التعليم الابتدائي سواء في الأداء أو في المعنى .

ولقد شرح هذا المعنى الشيخ مصطفى صادق الرافعي ووفاه حقه فقال :

«إن لهذه السور القصار لأمرًا ، وإن لها في القرآن لحكمة ، من أعجب ما ينتهي إليه التأمل حتى لا يقع من النفس إلا موقع الأدلة الالهية المعجزة ، فهي لم تنزل متتابعة في نسق واحد على هذا الترتيب الذي نراه في المصحف ، إذ لم يكن أول ما نزل من القرآن ولا آخره ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾

ثم هي – أي القصار من السور – بجملتها ، وعلى إحصائها لا تبلغ من القرآن أكثر من جزء ، والقرآن كله ثلاثون جزءًا ، وهو يتسع من بعدها قليلًا حتى ينتهي إلى السبع الطوال

فقد علم اللَّه أن كتابه يثبت الدهر كله على هذا الترتيب المتداول فيسره للحفظ بأسباب كثيرة أظهرها في المنفعة وأولها في المنزلة هذه السور التي تخرج من الكلمات إلى الآيات القليلة ، التي هي مع ذلك أكثر ما تجئ ءاياتها

---

(١) [الآية: ١٧ :سورة القمر]

على فاصلة واحدة أو فواصل قليلة لا يضيق بها نفس الطفل الصغير وهي تتماسك في ذاكرته بهذه الفواصل التي تأتي على حرف واحد أو حرفين أو حروف قليلة متقاربة ، فلا يستظهر الطفل بعض هذه السور حتى يلتئم نظم القرآن على لسانه ، ويثبت أثره في نفسه فلا يكون بعد إلا أن يمر فيه مرًّا وهو كلما تقدم وجده أسهل عليه ، ووجد له خصائص تعينه على الحفظ وعلى إثبات ما يحفظ

○ وإذا أردت أن تبلغ عجبًا من هذا فتأمل آخر سورة في القرآن ، وأول ما يحفظه الأطفال بعد الفاتحة وهي سورة ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾

وانظر كيف جاءت في نظمها وكيف تكررت الفاصلة ، وهي لفظ الناس وكيف لا ترى في فواصلها إلا هذا الحرف السين الذي هو أشد الحروف صفيرًا وأطربها موقعًا من سمع الطفل الصغير ، وأبعثها لنشاطه واجتماعه وكيف يناسب مقاطع السورة عند النطق تردد النفس في أصغر طفل يقوى على الكلام ، حتى كأنها تجري معه ، وكأنها فصلت على مقداره ، وكيف تطابق هذا الأمر كله من جميع جهاته في أحرفها ونظمها ومعانيها[١]

ويضاف إلى الحكمة فائدة أخرى ، وهي تيسير القرآن وأداء الصلاة على العامة ، فإنهم لولا هذه السور القصار لتكلفوا مشقة الحفظ فقد أعانت الصغار على الحفظ ويسرت على الكبار ، فكانت على قلتها معجزة اجتماعية أخرى[٢]

قصار السور أو حزب المفصل يسهل على الطفل أن يحفظ سوره ، وأن يعيها صدره ، لما فيها من جمل قصيرة مبنية غالبًا على فواصل متقاربة أو

(١) «إعجاز القرآن للرافعي» (٢٣١) ونقله بكامله الإمام أبو زهرة في المعجزة الكبرى (٢٤١-٢٤٢) لأهميته رحمه الله عليهم

(٢) بتصرف يسير «إعجاز القرآن» (٢٢١) «المعجزة الكبرى» (٢٤٢) .

متشاكلة ، وهي مشتملة على جل مقاصد الشريعة في جمل موجزة فيسهل وعيها والاعتبار بها ، وذكرها في الصلاة

كان عبد اللّٰه بن مسعود يقول

«إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بغيره»[1]

• الأهداف التربوية لمقرر جزء «عم» من القرآن الكريم

إن مقرر جزء «عم» يحقق أهدافا جمة وفوائد عظيمة فضلا عن كونه مطلبًا شرعيًا لا تقوم العبادة إلا به ، وقد تضمن أصولًا شرعية ويمكن أن نوجز الأهداف التربوية لتدريس الجزء الأخير من القرآن الكريم لمراحل الابتدائية على النحو التالي

أولاً الجانب التربوي في الأداء

أثبتت التجارب العملية من ممارستنا لعملية التربية أن تلاوة القرآن الكريم تساعد كثيرًا على النطق السليم الصحيح ، فإن تكرار تلاوة القرآن ، تصقل مخارج الحروف ويمرنها ويروضها ، فيستطيع الولد الصغير التالي لكتاب اللّٰه أن يتحكم في لسانه ، ويوجه إلى أي مخرج أراد ، فيكون لحروفه رونق وجمال

تلاوة القرآن وتكراره على النحو الذي سمعه من يعلمه يكسب الأطفال مهارة وفصاحة في النطق والبيان والإعراب عما في ضميره ، ويجد مرونة في توجيه أعضاء النطق ، فيكون فصيحًا بليغًا في التعبير عن مراده

وها هو موسى عليه السلام يسأل اللّٰه العون والتوفيق على سلامة آلة التبليغ ، وشكا إلى ربه أن لسانه لا ينطلق وأظهر عجزه بقول ﴿ قال رب إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى

---

(١) انظر «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٨٠)

هارون ..﴾[١]

وتوجه إلى اللّه بالدعاء أن يحل عقدة من لسانه ليفهم الناس قوله فقال ﴿ قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾[٢]

ثم أحال الأمر على أخيه ، وشهد له بزيادة فصاحة اللسان ، فقال ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا فأرسله معي ردءًا يصدقني إني أخاف أن يكذبون ﴾[٣]

ولولا ما لفصاحة اللسان من أهمية بالغة في التعليم ما توجه موسى عليه السلام إلى ربه ، ولما أجابه اللّه في دعائه حيث قال ﴿ قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾[٤] وقال ﴿ قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانًا ..﴾[٥] ، فإن هذا يدل على أهمية النطق السليم الفصيح لفهم مراد المتكلم

ولقد امتن اللّه على عباده بنعمة البيان قال تعالى ﴿ الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان ﴾[٦]

قال ابن كثير

قول الحسن أي النطق ها هنا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن ، وهو أداء تلاوته وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق ، وتسهيل

---

(١) [الآيات: ١١-١٣ :سورة الشعراء]
(٢) [الآيات: ٢٥-٢٨ :سورة طه]
(٣) [الآيات: ٣٤ :سورة القصص]
(٤) [الآية: ٣٦ :سورة طه]
(٥) [الآية: ٣٥ :سورة القصص]
(٦) [الآيات: ١-٤ :سورة الرحمن]

خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها[1]

قال الفخر الرازي

«اعلم أن النطق فضيلة عظيمة ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان ﴾ ولم يقل وعلمه البيان ، لأنه لو عطف عليه لكان مغايرا له أما إذا ترك الحرف العاطف صار قوله ﴿ علمه البيان ﴾ كالتفسير لقوله ﴿خلق الإنسان﴾ كأنه إنما يكون خالقا للإنسان إذا علمه البيان[2]

وقال سيد قطب في تعليل ذلك «ومن ثم قدم تعليم القرآن ، على خلق الإنسان فيه أي تعليم القرآن - يتحقق في هذا الكائن معنى الإنسان»[3]

أقول

ما خلق الله هذا الإنسان ، وعلمه البيان إلا ليتعلم القرآن ، فلا حياة له إلا به ، فعلة الخلق وعلة البيان تعليم القرآن

وصرح بهذا المعني الشيخ أبو الطيب صديق فقال وقدم تعليم القرآن ، للإنسان على خلقه ، وهو متأخر عنه في الوجود **لأن** تعليم القرآن هو السبب في إيجاده وخلقه»[4]

تكرار القرآن وتلاوته ترطب اللسان بذكر الله وتمرنه وتروضه بالنطق الصحيح إذا كثر تقليب اللسان رقت حواشيه ولانت عذبته[5] وإذا حبس

(١) «تفسير ابن كثير» (٢٨٩/٤)
(٢) «تفسير الفخر الرازي» (٤٧/١١)
(٣) «في ظلال القرآن» (٣٤٤٦/٦)
(٤) «فتح البيان» (٣١٤/١٣) ، «فتح القدير» (١٨٦/٥)
(٥) «عذبة اللسان» طرفة ، «مفردات الراغب» (٣٦٦)

اللسان عن الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف[١]

قال ابن هلال الفصاحة تمام آلة البيان لإقامة الحروف ، والحبسة واللكنة والعجمة تخل بأمر التبليغ وتؤدي إلى عدم فهم الوحي[٢] ولذلك قال ﷺ ولا تلتبس به الألسنة»

ثانيًا الجانب التربوي في الوجدان والتأثير

إن تلاوة القرآن تمتاز ، من تلاوة أي كلام آخر ، فإن لها سلطانا عجيبا على القلوب ، وتؤثر في نفس الناس جميعًا ، حتى على الذين لا يعرفون العربية

ولذلك كان مجرد سماع التلاوة تقوم به الحجة فأمر اللّٰه الرسول ﷺ أن يتلوه على الكافر المستجير ،وأن يسمعوه إياه ليسلم فقال ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾[٣]

نقل السيوطي عن ابن حجر العسقلاني في «الفتح» قال «فلولا أن سماع القرآن حجة عليه لم يقف أمره على سماعه»[٤]

تأثير القرآن في النفس الإنسانية عندما تسمعه ، وتتفاعل معه حتى ولو كانت نفسًا كافرة ، وأول من اعتبر هذا التأثير القرآني وجهًا خاصًا من وجوه الإعجاز وهو الإمام أبو سليمان الخطابي ت 388 هـ فقال

«قلت في إعجاز القرآن ، وجهًا آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس»[٥]

---

(١) انظر «العقد الفريد» (٧٨/٢)

(٢) كتاب «الصناعتين» (٣٥)

(٣) [الآية: ٦ :سورة التوبة]

(٤) «الإتقان في علوم القرآن» (٢٥٣/٢)

(٥) «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (٧٠) وانظر النبأ العظيم (١٢٦-١٣١) .

فإن للقرآن تأثيرًا عجيبًا في نفوس المؤمنين به بل حتى المنكرين والجاحدين وقعوا تحت هذا التأثير ، فلم يستطيعوا دفعه ولا مقاومته

وهذا التأثير العجيب الذي لم تعرف أسبابه غزا القلوب فحمل كفار قريش على منع أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه من التلاوة في المسجد الحرام ، لما كان في تلاوته من تأثير جاذب يحرك النفوس ، وعللوا منعه بأنه يفتن عليهم نساءهم وأولادهم ، فاتخذ مصلى بفناء داره ، فطفق النساء والولدان والأطفال يتسللون على مصلاه لاستماع تلاوة القرآن(١)

إنهم كانوا موقنين أن من يستمع تلاوة القرآن يهش ويرق قلبه ، فيباغته الإيمان فيستقر في القلب ، والواقع يدل على ذلك ، لذلك لما سمع عمر بن الخطاب تلاوة القرآن من أخته فاطمة وزوجها رق قلبه وانصاع ثم استسلم لتأثيره ، فأسلم

وقد عجز العرب عن مغالبة أثر القرآن في نفوسهم ونفوس سفهائهم ، وقد سجل القرآن هذه المغالبة ، فكان يوصي بعضهم بعضًا بعدم السماع للقرآن ورفع الصوت بالكلام الباطل

قال تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾(٢) دلت الآية على أنهم كانوا مغلوبين ؛ لذلك أوصى بعضهم بعضا بعدم السماع وكثرة الصخب واللغو دفعا لتأثيرات القرآن

وإذا كان هذا فعل القرآن في نفوس المنكرين والجاحدين وأطفالهم وهم غير مهيئين لاستقبال هذا التأثير ، فما الظن بأولادنا وبناتنا في المدارس الابتدائية وغيرها ، والذين يحضنهم الأبوان المسلمان في المجتمع المسلم فلا شك أن

(١) القصة ذكرها البخاري في «كتاب الهجرة» وذكرها «كتاب السيرة»

(٢) [الآية: ٢٦ :سورة فصلت]

القرآن يؤثر فيهم فيقعون تحت هذا التأثير ، لأن الطفل محل قابل للتأثير لصفاء نفسه وذهنه ، وفطرته لا تزال صفحة بيضاء لم تكدرها الأجواء

يجب على علماء التربية والتعليم والآباء والأمهات أن يغتنموا الفرصة الذهبية لتلاوة القرآن وحفظه في مرحلة الطفولة ، فقد أثبتت التجارب العملية أن الحفظ في سن الصغر أقوى ما يكون كالنقش في الحجر ، وكلما تقدمت السن بالطفل قلت ملكة الحفظ عنده ، وتقدمت ملكة الفهم

تعليم القرآن في مثل هذه السن يمتزج بقلوبهم امتزاج الصبغ بالمصبوغ فتبدوا آثاره عليهم كما تبدو الصبغ على المصبوغ ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾[1]

ذكر مكي بن أبي طالب ، عن كعب قال «إن الغلام إذا تعلم القرآن ، وهو حديث السن وحرص عليه وعمل به وتابعه خلطه اللّٰه بلحمه ودمه ، وكتبه عنده من السفرة الكرام البررة»[2]

يصور القرآن ما وقع في حس الجن من الروعة والتأثر فانطبعت في قلوبهم معاني القرآن من الإنصات فقال ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولَّوا إلى قومهم منذرين ﴾[3] فقد استمعوا صامتين منتبهين ، فلما انتهت تلاوة النبي ﷺ لم يلبثوا أن سارعوا إلى قومهم ، وقد حملت نفوسهم ومشاعرهم منه ما لا تطيق السكوت عليه أو التردد في إبلاغه والإنذار به

هذا المؤثر القاهر الغالب دفعهم دفعًا إلى الإقرار والإذعان والإعجاب وإبلاغه للآخرين في جد واهتمام فقالوا ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي

(١) [الآية: ١٣٨ :سورة البقرة]

(٢) «الرعاية لتجويد القراءة» (٥٨)

(٣) [الآية: ٢٩ :سورة الأحقاف]

إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا ﴾[1]

وقالوا ﴿ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى مصدقًا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾[2]

فمضوا في إنذارهم في حماسة المقتنع المندفع الذي يحس أن عليه واجبًا في الدعوة إليه ، لابد أن يؤديه ﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله وءامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾[3] إن استماع الجن للقرآن هز مشاعرهم ، وحركهم فانطلقوا إلى قومهم بنفوس مملوءة بما لا تملك له دفعًا ، ولا تملك عليه صبرًا

وهذه هي الاستجابة الطبيعية المستقيمة لسماع القرآن يعرضها القرآن على المشركين الذين كانوا يسمعون هذا القرآن ، ثم لا يؤمنون به ، وفي الوقت ذاته ينسبونه إلى الجن فيقولون كاهن ، أو شاعر أو مجنون

وهؤلاء هم الجن مبهورين بالقرآن مسحورين متأثرين أشد التأثر منفعلين أشد الانفعال ، فيعلنون هذا الإعلان ﴿ فآمنا به ﴾ غير منكرين ولا معاندين ، بل داعين إليه ﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله وءامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾[4]

أقول

وإذا كان القرآن أحدث في نفوس العرب ما أحدث وأثر في الجن تأثرًا بالغًا فأعلنوا الإيمان والدعوة إليه والتبرء من الشرك ، وأثر في المؤمنين ، فإذا كان

---

(١) [الآية: ١،٢ :سورة الجن]

(٢) [الآية: ٣١ :سورة الأحقاف]

(٣) [الآية: ٣١ :سورة الأحقاف]

(٤) انظر «أضواء البيان» (٢٦١/٧) ، «تنوير الأذهان» (٤٢٢/٤) ، «نظم الدرر» (٢٥٢/٨) .

حال هؤلاء مع القرآن ما ذكرت فكيف بأبنائنا وبناتنا والمؤمنين جميعًا وهم مهيئون لاستقبال هذا التأثير الذي خفي سببه

ماينبغي أن يكون الجن أحسن حالًا من الإنس في سرعة الإجابة لما دعا إليه القرآن وأمر به وحث عليه ورغب فيه

وقال ابن كثير

«وقد قابلت الجن القرآن بالشكر القولي أبلغ من الإنس فقالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد قال ﷺ لقد قرأت سورة الرحمن على الجن فكانوا أحسن مردودا منكم»

وفي بعض الروايات «أحسن جوابا لربهم منكم»[1]

يدل على هذا قوله تعالى ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ﴾[2]

قال الألوسي «كاد الجن يكونون عليه متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبًا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته»[3]

وقال ابن عباس كاد يركب بعضهم بعضًا من الازدحام عليه حرصًا على استماع القرآن[4] وأوصى بعضهم بعضًا بالإنصات ﴿ فلما حضروه قالوا أنصتوا ﴾

⊙ وهكذا نجد أن الإدراك للشيء يمر بثلاث مراتب

أولاً الإحساس بالشيء وهو قولهم ﴿ فلما حضروه قالوا أنصتوا ﴾

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/١٨٤،٢٨٩) ، اللباب لابن عادل (١٩/٤١٠) ، «بدائع التفسير» (٤/١٥٦)

(٢) [الآية: ١١٩ :سورة الجن]

(٣) «روح المعاني» (١٦/١٥٨)

(٤) «تفسير الخازن» (٤/٣٥٢)

ثانيًا انفعال النفس له ﴿ إنا سمعنا قرءانا عجبًا ﴾ وقولهم ﴿ يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾

ثالثًا النزوع السلوكي تمثل في قوله ﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله وءامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾

نقل القاسمي عن ابن كثير قوله يهدي إلى الحق في الاعتقاد والأخبار وإلى طريق مستقيم في الأعمال ، فإن القرآن مشتمل على شيئين خبر وطلب فخبره صدق ، وطلبه عدل ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ﴾[(١)]

ثالثًا الجانب التربوي في المعرفة

القرآن الكريم حوى من ضروب المعرفة والقواعد التربوية والأخلاقية والأصول العلمية والتشريعية ما يجعلنا نستغني به عن جميع النظريات البشرية إلا ما كان لها أصل فيه

تلاوة القرآن الكريم في المراحل الابتدائية وفهمه تمد الأطفال وغيرهم بثروة من العلوم والمعارف يصعب على الإنسان أن يحصرها وتمنحهم التصور الصحيح والكامل لهذا الكون الذي يعيشون فيه وما يجرى عليه وفيه من أحداث ومتغيرات وسنن بأمر اللّه وسيجد العلاج الكامل والواقعي لكل ما جد ويجد وكل علوم الشريعة أصولها وفروعها منتزعة من القرآن

قال عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين فقال البيهقي مبينًا كلامه أراد به أصول العلوم[(٢)]

ومعنى يثور القرآن يتأمله ويتدبره ويفكر في تفسيره ومعانيه[(٣)]

---

(١) [الآية: ١١٥ :سورة الأنعام] ، «تفسير القاسمي» (٤٥٢/٨)

(٢) «فضائل القرآن» لأبي عبيد (٩٦) «البرهان» للزركشي (١٥٥/١)

(٣) «النهاية» لابن الأثير (٢٢٩/١) ، «فتح القدير» (٢٧٠/٣) ، «أضواء البيان» (٢٥٢/٣) .

وفصل القول ما نص عليه الشاطبي في موافقاته ومن الأدلة على أن العالم بالقرآن على التحقيق عالم بجملة الشريعة ولا يعوزه منها شيء إلا التجربة وهو أنه لا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن في مسألة إلا وجد لها فيه أصلا[١]

وقال الشافعي فليست تنزل بأحد من أهل دين اللّٰه نازلة إلا في كتاب اللّٰه الدليل على سبيل الهدى فيها[٢]

أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن ابن مسعود قال أنزل في هذا القرآن علم كل شيء ، وبين لنا فيه كل شيء ، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن[٣]

قال الشيخ الشنقيطي

ولكن كتاب اللّٰه لا تزال تظهر غرائبه وعجائبه متجددة على مر الليالي والأيام ففي كل حين تفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل ، ويدل لذلك حديث أبي جحيفة الثابت في الصحيح أنه لما سأل عليا رضي اللّٰه عنه قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهمًا يعطيه الله رجلا في كتاب الله وما في هذه الصحيفة الحديث[٤]

قال الشيخ رحمه الله فقوله رضي الله عنه إلا فهما يعطيه اللّٰه رجلا في كتاب اللّٰه يدل على أن فهم كتاب اللّٰه تتجدد به العلوم والمعارف التي لم تكن عند عامة الناس»[٥]

---

(١) «الموافقات للشاطبي» (٣/٢٧١)

(٢) «نظم الدرر للبقاعي» (٤/٣٠٢)

(٣) «جامع البيان» (١٤/١٠٨)

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد رقم (٣٠٤٧) «فتح الباري» (٦/١٦٧)

(٥) «أضواء البيان» (٣/٩٢،٩٣)

وقال الإمام القاسمي في «محاسنه»

«كما أن الكثير من حكمه أي القرآن ومعارفه لم يكشف عنها اللثام ولم يفصح عنها عالم ولا إمام»[1]

أما من ناحية المعرفة اللغوية للأطفال والمتعلمين فالقرآن قاموس من لا قاموس له ، ومعجم لغوي فريد بل إن المعاجم اللغوية والقواميس مصدرها الأصلي القرآن الكريم وتحاكم إلى لغته أئمة اللغة العربية

○ وقد أكد هذا المعنى ووضحه الراغب الأصفهاني في مقدمته فقال :

فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم ، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها ، والمشتقات منها هو بالإضافة اليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة[2]

وإذا كان الأمر كذلك ؛ فإن القرآن الكريم يزود الأطفال بثروة لغوية أصلية بأساليب رفيعة وتراكيب ومفردات يعجز البشر أن يأتوا بمثلها فألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها ومعانيه أجل المعاني وأعظمها

روى أبو العلاء الحنبلي ، بسنده عن يحيى بن يعمر أن أبا ذر رضي الله عنه قال تعلموا العربية في القرآن كما تعلمون حفظه[3]

رابعًا الجانب التربوي في السلوك

لقد أثبت الله لكتابه الاستقامة والأحكام ، ونفى عنه العوج ، ولتأكيد

---

(١) «تفسير القاسمي» (٢٠٤/١) نقله عن الإمام محمد عبده

(٢) «مقدمة الراغب» للأصفهاني (٨)

(٣) «التمهيد لأبي العلاء» (٢٠٧) وانظر «إيضاح الوقف والابتداء» (٢٣/١) .

هذين الوصفين جمع بينهما في قوله تعالى ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين ﴾[1]

ونفى عنه العوج مرة أخرى في قوله تعالى ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيًّا غير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾[2]

فلم يجعل الله فيه اعوجاجا ولا ميلا ، بل جعله محكما مفصلا ، فجمع سبحانه بين نفي العوج وإثبات الاستقامة ، قال تعالى ﴿ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾[3]

وإذا كان شأن كتابه كما ذكر ، وكانت صفة هذا الكتاب العزيز الاستقامة والإحكام في مبناه ومعناه ، فإن من يسترشد به حفظا وعلما وتفقها وسلوك يكون سويا معتدلا وعلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا فسوق ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾[4]

يهدي القرآن لأقوم الطرق وأوضح السبل الموصلة إلى النجاة والفلاح

وإذا كان شأن كتابه جل وعلا كذلك ، فإن الاقتصار عليه ،والاستغناء به عن غيره حفظا وسلوكا وعملا يجعل الإنسان ذا شخصية متزنة معتدلا مميزة كما قال تعالى ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرًا ﴾[5]

---

(١) [الآية: ١،٢ :سورة الكهف]

(٢) [الآية: ٣٧،٣٨ :سورة هود]

(٣) [الآية: ١ :سورة هود]

(٤) [الآية: ٩ :سورة الإسراء]

(٥) [الآية: ١١٣ :سورة طه]

فيحدث القرآن في نفوس أطفال المدرسة الابتدائية والناس جميعا عظة وعبرة ويكسوهم علما وشرفا واستواء واعتدالا ورقة في جميع الجوانب ويزكيهم ظاهرا وباطنا ويدعوهم إلى العمل بالعلم

○ **روى ابن جرير الطبري** ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن[(١)]

وقال عبد اللّٰه بن مسعود والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ، ويقرأه كما أنزله اللّٰه ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منه شيئًا عن غير تأويله»[(٢)]

ولذلك لما سئلت عائشة رضي اللّٰه عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن[(٣)]

○ **قال الحافظ ابن كثير مبينًا هذا الخلق**

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة السلام صار امتثال القرآن أمر ونهيًا سجية له وخلقا طبعه ، وترك طبعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه»[(٤)]

قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر اللّٰه وينتهي عنه مما نهى اللّٰه عنه[(٥)]

قال أبو حامد الغزالي وتلاوته أن يشرك فيها اللسان والعقل والقلب ، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحظ العقل تفسير المعاني ، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر والانزجار والائتمار ، فاللسان يرتل والعقل يترجم

---

(١) «جامع البيان» (١/٣٥)
(٢) «تفسير ابن كثير» (١/١٧٥) ، و«الطبري» (١/٥٦٧)
(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١/٥١٣)
(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/٤٢٥)
(٥) «الجامع للقرطبي» (١٨/١٩٨)

والقلب يتعظ[1]

○ وقد توسع في هذا المعنى الشيخ محمد بن صالح في تفسيره لقوله تعالى ﴿ الذين ءاتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ﴾[2]

يقول أي يتبعونه والتلاوة يراد بها ثلاثة أمور التلاوة اللفظية والتلاوة المعنوية والتلاوة العلمية

أما التلاوة اللفظية فأن يقيم الإنسان حروف الكتاب الذي أنزل

وأما التلاوة المعنوية فأن يقيم معناه ، وذلك بأن يفسره بما أراده اللّه ، لابهوى نفسه ، فلا يحرف الكلم عن مواضعه

وأما التلاوة العلمية فأن يؤمن بأخباره ويقوم بأوامره ويتجنب نواهيه ، وهؤلاء هم الذين يؤمنون به

وأما من لم يتله حق تلاوته إما في اللفظ أو في المعني أو في العمل فإنه لم يؤمن به حق الإيمان ﴿ الذين ءاتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ﴾

○ **ومن الفوائد التي ذكرها في هذه الآية ، وقال فوائد وأحكام**

منها أن من لم يقم حروف الكتاب ، فإنه لم يؤمن به حق الإيمان لأنه لم يتله حق تلاوته ، ويتفرع من هذه الفائدة وجوب تلاوة القرآن على الوجه الذي أنزل من حيث الترتيب ومن حيث الحروف فلا يبدل حرف بحرف ، ولا تقدم آية على آية ، ومن حيث الإعراب فلا يفتح ما كان مضموما أو مكسورا ولا عكس

ومنها أن من لم يقم بالعمل الصالح الذي دل عليه الكتاب وأمر به وحث

---

(١) «الإحياء» (٢٩٢/١) و «المرشد الوجيز» (٢١١)

(٢) [الآية: ١٢١ :سورة البقرة]

عليه ورغب فيه فإنه لم يتله حق تلاوته

ومنها الثناء على المتبعين بل على التالين لكتاب اللّٰه حق تلاوته لقوله تعالى ﴿ أولئك يؤمنون به ﴾[١]

أقول

وهذه المعاني والأحكام التي ذكرها الشيخ رحمه اللّٰه مروية عن عبد اللّٰه بن مسعود وابن عباس والحسن البصري وإبراهيم النخعي وعكرمة[٢]

وقد حذر العلماء ، وأنكروا أشد الإنكار على الذي لا يعمل بالقرآن وهو يجود ألفاظه وحروفه ولا يجود معناه وكلاهما متلازمان بل الألفاظ لا يراد منها إلا المعاني

وقد يحاول المجود لكتاب اللّٰه أن لا يلحن في أداء لفظه وقد لحن عن معناه لحنا فاحشا كاد يخرجه من دائرته

ولا شك أن الأمة كما هي متعبدة بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه متعبدة بفهم معاني القرآن والعمل بها

«أما واللّٰه ما هو بحفظ حروفه
وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم
ليقول قد قرأ القرآن كله ، فما
أسقط منه حرفا ، وقد واللّٰه
أسقطه كله ما يرى له بالقرآن في
خلق ولا عمل[٣]

قال الامام شهاب الدين المقدسي 665 هـ لم يبق لمعظم من طلب

(١) «أحكام القراء» (٤٣٦ - ٤٣٩) بتصريف يسير
(٢) انظر «تفسير ابن كثير» (١٦٨/١)
(٣) «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» (٢٠٥)

القرآن العزيز همة إلا في قوة حفظه وسرعة سرده وتحرير النطق بألفاظه والبحث عن مخارج جروفه والرغبة في حسن الصوت به

وكل ذلك وإن كان حسنا ،ولكن فوقه ما هو أهم منه وأتم وأولي وأحرى ، وهو فهم معانية والتفكر فيه والعمل بمقتضاه والوقوف عند حدوده وثمرة خشية اللّٰه تعالى من حسن تلاوته(١)

وقد ضرب اللّٰه مثلاً بالحمار لمن لم يعمل بعلمه ، قال ابن القيم قوله تعالى : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ﴾(٢) «شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد أو الرماة ففرت منه»(٣)

قال القرطبي

وفي تفسير مقاتل الإعراض عن القرآن من وجهين أحدهما الجحود والإنكار ، والوجه الآخر ترك العمل بما فيه(٥)

وقال تعالى في ذم من لم يعمل بعلمه ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات اللّٰه واللّٰه لا يهدي القوم الظالمين ﴾(٦)

قال ابن عادل والقرطبي

وفي هذه الآية تنبيه من اللّٰه تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ،ويعلم

---

(١) «المرشد الوجيز» (١٩٣)

(٢) [الآية: ٥٠-٥١ :سورة المدثر]

(٣) «بدائع التفسير» (٦٧/٥) ، «روح المعاني» (٢٣٠/١٦)

(٤) «بدائع التفسير» (٦٧/٥) «روح المعاني» (٢٣٠/١٦)

(٥) «الجامع للقرطبي» (٨٠/١٩) ، و«اللباب» (٥٣٦/١٩)

(٦) [الآية: ٥ :سورة الجمعة]

(٧) «الجامع للقرطبي» (٦٢/١٨) ، «اللباب» (٧٤/١٩)

ما فيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء[٧]

قال الخازن

وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه[١]

قال الرازي

قال أهل المعاني هذا المثل مثل من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل به وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه[٢]

ويذكرنا القرآن من فعل اليهود فإنهم لايعلمون الكتاب إلا تلاوة وترتيلا ووصفهم بالأمية فقال تعالى ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني * وإن هم إلا يظنون ﴾[٣]

قال الشيخ الغزالي

قال ابن تيمية رحمه اللّه عن ابن عباس وقتادة في قوله ﴿ ومنهم أميون ﴾ **أي** غير عارفين بمعاني الكتاب يعلمونها تلاوة ولا يعلمون فقه الكتاب إنما يقتصرون على ما يتلى عليهم[٤]

يقول رشيد رضا وهو يعيب على المفسرين اهتمامهم بالألفاظ ، لا المعاني والمقاصد والمدلول ، فذكر قصة شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه وهو يستعد للجهاد ، فقال له صاحبه يا عم قد أعذر اللّه إليك ، قال : فرفع

---

(١) «لباب التأويل» (٢٩٠/٤)

(٢) «تفسير الفخر الرازي» (٦/١٥)

(٣) [الآية: ٧٨ :سورة البقرة]

(٤) «دقائق التفسير» (٢١٥/١) ، «الفتاوى» (٤٦/٧) «زاد المسير» (٩١/١) ، «البحر» (٤٤٢/١) ، «كيف نتعامل مع القرآن» (١٤،١٣)

(٥) [الآية: ٤١ :سورة التوبة]

حاجبيه عن عينيه وقال يا بن أخي   استنفرنا اللَّه خفافًا وثقالاً يعني قوله تعالى : ﴿ انفروا خفافا وثقالا ﴾[٥]

ثم قال رشيد رضا   بمثل هذا الفهم للقرآن والاهتداء به فتح سلفنا البلاد ، وسادوا العباد   «ولم يبق لأحد من شعوب أمتنا حظ من القرآن إلا تغنى بعضهم بتلاوته من غير فهم ولا تدبر ، واشتغال آخرين بإعراب جملة ونكته البلاغية من غير علم ولافقه فيها ، ولا فكر ولا تدبر لما أودع اللَّه فيه من الحكم والأحكام ، ويتشدقون بأن ﴿ خفافا وثقالا ﴾ منصوبان على الحال ولا يرشدون أنفسهم ولا غيرهم إلى ما أوجبه اللَّه على صاحب الحال»[١] ، واللَّه أعلم .

وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه د   أحمد بن أحمد بن معمر شرشال

غفر اللَّه له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين

مدرس القرآن وعلومه كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الكويت

وكان الفراغ منه ليلة الجمعة ١٤٢٣/٦/٧ هـ

الموافق لـ ٢٠٠٢/١٥

---

(١) «تفسير المنار» (٤٦٠/١٠) بتصرف يسير

○ ملخص البحث ○

من عيوب النظرة الحديثة في موضوع بناء الإنسان وتربيته التركيز على جانب من طبيعة الإنسان دون غيره ، ومن ثم فشلت التربية الحديثة في تحقيق التوازن بين التطور العلمي من جانب ، والتطور الإنساني الروحي من جانب آخر بحيث جعلت الإنسانية أكثر تقدماً في الظاهر ، وأكثر خواء وفراغاً في الباطن

إن الاهتمام بشخصية الإنسان والعناية به ليست من نتاج الدراسات الحديثة أو الدراسات الغربية كما يتصوره بعض الناس، بل لم تعرف دراسات قديماً ولا حديثاً عنيت بالإنسان وشملت جميع عناصره وأحواله كالدراسات القرآنية

وأشمل هذه الدراسات لجميع مناحي حياة الإنسان هو هذه الأصول التربوية التي قدمناها، وأبرزها علم تفسير القرآن والتفقه فيه، لأن منزل هذا القرآن هو الخالق لهذا الإنسان العليم بطبيعة تكوينه الخبير بدروب نفسه ومنحنياتها

القرآن الكريم حوى من ضروب المعرفة والعلمية والأصول التربوية ما يجعلنا في غنى عن جميع النظريات البشرية التي هي كصانعيها.

يقوم البحث على استقراء آيات القرآن الكريم، فوجد الباحث فيها أسساً وقواعد وأصولا تربوية لبناء الإنسان من جميع جوانبه، وتسعى إلى تحقيق التوازن والاعتدال بين جميع المذاهب والمدارس الفكرية وغيرها، وتستوعب جميع الأصناف والطوائف ، ولسوف يكون - بإذن الله - مقبولاً عند الجميع لوضوح أسسه ومعالمه وعدم المنازعة فيها.

ولقد أثبت الله لكتابه الاستقامة ونفى عنه العوج، وخلق هذا الإنسان

جميع الأصناف والطوائف ، ولسوف يكون – بإذن الله – مقبولاً عند الجميع لوضوح أسسه ومعالمه وعدم المنازعة فيها.

ولقد أثبت الله لكتابه الاستقامة ونفى عنه العوج، وخلق هذا الإنسان وصوره في أحسن صورة، فإذا كانت صفة هذا الكتاب الاستقامة والإحكام ، وصورة هذا الإنسان في أحسن تقويم ، فإن من يسترشد به علماً وتفقهاً وسلوكاً لاشك أنه يكون سوياً معتدلاً

هذا البحث من خلال أصوله التربوية يهدف إلى بناء الإنسان علماً وعملاً وسلوكاً ويساهم مساهمة فعالة في صياغة ، وصباغة هذا المخلوق العجيب ، ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ ، ومن جملة الأهداف التي يسعى هذا البحث لتحقيقها:

* تحقيق الاتزان والاعتدال والاستقامة
* التخلص من التعصب والتقليد وإيجاد السعة والمرونة
* الاستقلال الفكري والتكامل العلمي
* المشاركة الوجدانية والنفسية والعلمية لجميع أصناف مهما كانت توجّهاتهم
* إيجاد الصلات العلمية والأخوية والتقارب بين جميع الناس

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

وكتبه

د. أحمد بن أحمد بن معمر شرشال

مدرس القرآن وعلومه

كلية الشريعة – جامعة الكويت

ABSTRACT

Among the drawbacks of the modern view for educating man is its concentration on only one aspect of man which has led to the failure in making a balance between scientific development on one hand and spiritual growth of man on the other hand. This is reflected in the material progress of humanity and its lack of spiritual development.

The interest in the study of human personality is not the product of modern western studies as might some people think In fact, no past or present studies had been comprehensive in their investigations for human personality with all its components as the Koranic studies had.

The comprehensive studies to all aspects of human life is one of the aim of the foundation of education referred to in this present paper: in which the Holy Koran and its interpretation studies stand in the forefront of everything. The importance of the Holy Koran comes from the creator who knows the nature of his creatures: and therefore, the many types of knowledge and educational foundations contained in the Holy Koran are more comprehensive and perfect than any human theories. This study deals with verses of the Holy Koran which provide rules and educational foundations to build up man from all his aspects. It aims at creating equilibrium between all the doctrines and schools of thought to include also all types of sects accepted for all.

Allah. The Almighty, has established rightness of the Holy Koran, and discarded any crookedness in it" He has not placed therein any crookedness" ,A" Koran which is revealed in Arabic with no crookedness". He also created main in the best picture.

So if the Holy Koran is characterized by its rightness and equilibrium, and man is created in the best way, it is no doubt that whoever seeks guidance in the Koran for science and good conduct will be right and just.
Through its educational foundations, this study, aims at building man from many aspects: knowledge , science, conduct and behaviour, and will also contribute effectively in shaping this wonderful creature from all aspects.

This study has set a number of aims which we may sum up in the following points:

*To ascertain equilibrium and rightness of man.

*To get rid of fanaticism and imitation

*To encourage free thinking and the complementary knowledge.

*The sympathize with all types of people from different orientations, psychologically and scientifically.

*To create scientific and brotherly links and congruity with all mankind.

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم
تنزيل من حكيم حميد
١-الإتقان في علوم القرآن
للحافظ السيوطي ط٣ دار الكتب العلمية 1995 م بيروت - لبنان
٢-آثار عبد الحميد بن باديس
منشورات وزارة الشئون الدينية بالجزائر - دار البعث ط ١ سنة 1985م قسنطية.
٣-أحكام القرآن الكريم
لأبي بكر محمد بن العربي ط دار الكتب 1996م جديدة - بيروت لبنان .
٤-أحكام من القرآن الكريم
للشيخ محمد بن صالح العثيمين ط٢ دار طوبق 1415هـ - الرياض
٥-الأرجوزة المنبهة المفقهة
للإمام أبي عمرو الداني ط١ دار المغنى 1999م - الرياض
٦-أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص
د. عماد الدين الرشيد ط دار الشهاب 1999م - دمشق
٧-أسماء الله الحسنى
للإمام شمس الدين ابن القيم ط١ دار الكلم الطيب 1998م - دمشق بيروت.
٨-الأشباه والنظائر في القرآن الكريم
لمقاتل بن سليمان ط٢ الهيئة المصرية 1994م مصر .

٩-إصلاح الوجوه والنظائر
للإمام الحسين الدمغاني ط٥ دار العلم 1985م بيروت - لبنان
١٠-أصول التفسير وقواعده
للشيخ خالد عبد الرحمن العك ط٢ - دار النفائس 1986م - بيروت.
١١-الإضاءة في بيان أصول القراءة
للشيخ على محمد الضباع ط١ المكتبة الأزهرية 1999م القاهرة
١٢-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن
للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ط١ دار العلمية 1996م بيروت
١٣-بدائع التفسير لابن القيم
جمع يسرى السيد محمد ط١ دار ابن الجوزى 1993م- الرياض
١٤-التحديد في الإتقان والتجويد
لأبى عمرو الداني ط١ دار عمّار 2000م الأردن عمّان
١٥-التحرير والتنوير
للإمام محمد الطاهر بن عاشور ط١ نشر دار التونسية 1984م تونس
١٦-تفسير البحر المحيط
لأبي حيان محمد بن يوسف ط١ دار الكتب العلمية 1993م بيروت.
١٧-تفسير ابن باديس
للشيخ عبد الحميد بن باديس ط١ منشورات المعارف 1964م الجزائر
١٨-تفسير القرآن العظيم
للحافظ عماد الدين ابن كثير ط٩ دار المعرفة 1997م بيروت
١٩-التفسير والمفسرون
د. محمد حسين الذهبي ط٦ مكتبة وهبه 1995م مصر

٢٠-تفسير الفخر الرازي
للإمام محمد الرازي فخر الدين طبعة جديده دار الفكر 1993م بيروت.
٢١-تفسير المنار
للشيخ محمد رشيد رضا ط١ دار المعرفة 1993م بيروت
٢٢-التفسير اللغوي
د. مساعد الطيار ط١ دار ابن الجوزي 1422هـ الرياض
٢٣-التفسير الوسيط
د. محمد سيد طنطاوي ط١ دار المعارف 1992م القاهرة
٢٤-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
للشيخ عبد الرحمن السعدي ط السلفية 1375هـ القاهرة
٢٥-أصول التربية الإسلامية
للشيخ عبد الرحمن النحلاوى ط٢ دار الفكر 1999م بيروت دمشق
٢٦-التقرير الختامي
للجنة تقويم تطبيق مادة القرآن الكريم 2001-وزارة التربية-الكويت
٢٧-التمهيد في معرفة التجويد
لأبي العلاء الهمداني 569 ط١ دار عمّاره 2000م عمّان الأردن
٢٨-التمهيد في علم التجويد
لشمس الدين ابن الجوزي ط١ مؤسسة الرسالة 1986م بيروت
٢٩-التناسب البياني في القرآن
د. أحمد أبو زيد ط١ النجاح الدار البيضاء المغرب
٣٠-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن
للرماني والخطابي والجرجاني تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول ط١

دار المعارف - مصر
٣١-جامع البيان في تأويل آي القرآن
لإمام المفسرين الطبري ط١ المعارف القاهرة
٣٢-الجامع لأحكام القرآن :
للإمام أبي عبد الله القرطبي ط١ دار الكتاب 1997م بيروت
٣٣-جهد المقل
لمحمد بن أبي بكر المرعشي ط١ دار عمار 2001م - عمّان الأردن
٣٤-جواهر البلاغة
للسيد أحمد الهاشمي ط١ - المطبعة العصرية 1999م بيروت
٣٥-الدر المنثور في التفسير المأثور
للحافظ السيوطي ط١ دار الفكر 1403هـ بيروت
٣٦-دقائق التفسير
لابن تيمية الحرّاني ط٢ مؤسسة علوم القرآن 1984م دمشق
٣٧-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم
لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي ط١ دار الفكر 1997بيروت
٣٨-زاد المسير في علم التفسير
لأبى الفرج جمال الدين الجوزي ط١ دار الكتب 1994م بيروت
٣٩-سنن القراء ومناهج المجودين
د. عبد العزيز القاري ط١ مكتب الدار 1414هـ المدينة المنورة
٤٠-رياض الصالحين
للإمام النووي
٤١-سرّ الفصاحة

لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي ط١ دار الكتب 1982م بيروت
٤٢-شرح الطحاوية
لابن أبي العز الحنفي ط٢ مكتبة المعارف 1986م - الرياض
٤٣-الصواعق المرسلة
لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ط١ دار العاصمة - الرّياض
٤٤-الطرق التربوية وعلم النفس
د. أحمد الحبابي ط١ مؤسسة سعيدان - تونس
٤٥-فتح البارى بشرح صحيح البخاري
لابن حجر العسقلاني ط١ المكتبة السلفية - القاهرة
٤٦-فتح البيان في مقاصد القرآن
لأبي الطيب صديق بن حسن ط٢ المكتبة العصرية 1995م بيروت
٤٧-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية
لمحمد بن على الشوكاني ط٢ دار الفكر 1993م بيروت
٤٨-الفتاوى لشيخ الإسلام
تقي الدين الحرّاني ط٢ دار الوفاء 1998م - مصر
٤٩-فن الترتيل وعلومه
للشيخ أحمد الطويل ط١ مجمع الملك فهد 1999م بالمدينة المنورة
٥٠-الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية
للشيخ عبد الرزاق موسى ط١ مطابع الرشيد 1997م المدينة المنورة
٥١-في ظلال القرآن
لسيد قطب ط٢٤ دار الشروق 1995بيروت القاهرة
٥٢-قواعد التفسير

خالد بن عثمان السبت ط١ دار ابن عفان 1997م السعودية
٥٣-القواعد الحسان لتفسير القرآن
للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ط١ مكتبة المعارف 1982م الرياض.
٥٤-كتاب العين
للخليل بن أحمد الفراهيدي ط١ دار مكتبة هلاك - العراق
٥٥-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجمها
لأبي محمد مكي بن أبى طالب ط٣ مؤسسة الرسالة 1984م بيروت.
٥٦-كيف نتعامل مع القرآن
يوسف القرضاوي ، ط١ دار الشروق 1999م بيروت القاهرة
٥٧-كيف نتعامل مع القرآن
للشيخ محمد الغزالي والأستاذ عمر عبده حسنة ط١ دار الوفاء 1992م مصر.
٥٨-لباب التأويل في معاني التنزيل
علاء الدين الشهير بالخازف ط١ دار الكتب 1995م بيروت
٥٩-اللباب في علوم الكتاب
لابن عادل عمر بن على الحنبلي ط١ دار الكتب 1998م بيروت
٦٠-مجلة التربية
للجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ١٣٧ ، ١٣٨، وزارة التربية
٦١-محاسن التأويل
للإمام جمال الدين القاسمي ط١ دار الكتب 1997م بيروت
٦٢-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

للقاضي أبي محمد ابن عطية ط١ دار الكتب 1993م بيروت
٦٣-مختصر التبيين لهجاء التنزيل
للإمام أبي داود سليمان بن نجاح ط١ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف- المدينة المنورة
٦٤-المدارك
لعياض بن موسى ط١ المغرب 1403 المغرب
٦٥-مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين
لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ط١ دار الكتاب 1392م بيروت
٦٦-المدخل لدراسة القرآن الكريم
للشيخ محمد أبى شهبة ط٣ دار اللواء 1407هـ الرياض
٦٧-المستدرك على الصحيحين:
لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري - دار الكتب العلمية - بيروت
٦٨-المصنف
لابن أبى شيبة أبي بكر ط١ المكتبة السلفية في بمباي - الهند.
٦٩-معارج القبول بشرح سلم الوصول
للشيخ حافظ حكمي ط١ دار الكتب العلمية - بيروت
٧٠-مفردات ألفاظ القرآن
لأبى القاسم الراغب الأصفهاني ط١ دار الكتب 1997م - بيروت
٧١-المكتفى في الوقف والابتداء
للإمام أبى عمرو الداني ط١ مؤسسة الرسالة - دمشق
٧٢-المنح الفكرية على متن الجزرية
الملا على القاري ط١ الأخيرة - طبعة الحلبي - القاهرة